

عندما ينطق الجسد

محمد مصطفى

حقوق الطبع محفوظة



دار الصفوة
للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة الأولى
١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م

ش.م.م. - م.م. - الفردقة، البحر الأحمر ت : ٤٤١٢١٥ / ٤٤١٥٧ - فاكس : ٤٤١٢١٥ ت : ٤٤١٢٢٠ - فاكس : ٤٤١٢٢٠ - ٢٦-٢٢٢

الغلاف بريشة الفنان مصطفى حسين

الكاركاتير بريشة الفنان محفوظ أمين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ
عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَالْجِبَالِ ...

فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا ..
وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا ..

وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ؛

﴿ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾

(صدق الله العظيم)



إهداء

إلى أھمُّ مُثَلِّثٍ في حَيَاتِي...
زَوْجَةٍ.. مَعَهَا أَيْقَنْتُ أَنَّ الْوَفَاءَ « كَوَثْرُ »
الْحَيَاةِ...
ابنتين ... زَهْرَتَيْنِ ... بِحُبِّهِمَا يَتَفَتَّحُ كُلُّ
مَا فِي النَّفْسِ مِنْ « أَمَانِي » ... ، وَمَا فِي
الرُّوحِ مِنْ « إِيْمَانٍ » ...
لَكُمْ كُلُّ الْحُبِّ...
مِنْكُمْ أَحَبُّتُ الْحُبَّ...
مَعَكُمْ اكْتَشَفْتُ : أَنَّ الْحُبَّ جَبَّةٌ
بِالْحُبِّ تَنْمُو وَتَكْبُرُ كُلَّ يَوْمٍ...

محمد مصطفى



مقدمة

بقلم : الكاتب والأديب الكبير الأستاذ

ثروت أباطة



تقديم

إن هذا الكتاب بين يديك يدل دلالة لا شك فيها على : أن مؤلفه كاتب متمكن قدير.. ولهذا ترددت طويلاً قبل أن أخط كلمة (تقديم) التي صدرت بها كلمتي هذه إليك فهو كاتب لا يحتاج إلى تقديم، كما أن الكتاب نفسه يقدم نفسه في طلاوة أخاذه، وفن أصيل.

فالأستاذ محمد مصطفى وقع على فكرة قصصية غاية في الجمال، ورأى أن ينطق الجماد بما يراه هذا الجماد من البشر.

والجماد بغير بشر شيء لا قيمة له فإن قيمة الجماد تبدأ باستعمال البشر له، وهو في ذات الوقت وسيلة لا غنى عنها عند البشر، فكلاهما يكمل الآخر.

إلا أن الجماد شيء مغلوب على أمره لا حيلة له فيما يصرفه إليه هؤلاء البشر.

وهكذا تولى الأستاذ محمد مصطفى إنطاق هذا الجماد: ليشكو الظلم الوبيل الذي يقع عليه من الإنسان، ويظهر مدى خبث الإنسان وسوء طويته.

وأجال الأستاذ محمد مصطفى عينيه في جنبات الحياة فكان اختياره لأصناف الجماد غاية في الإبداع والإنصاف في وقت معاً.

وأشهد لقد رُد الى ما اختاره من أنواع الجماد
العدل الذى يفتقده، فلا يجده، وأشهد أنه بما كتب قدم
الينا لوناً جديداً ممتعاً من القصة المعاصرة الحديثة :
بعيدة كل البعد عن الخرافات التى يفتعلها كتاب
القصة، ممن يسمون أنفسهم: كتاب اللا معقول.
بل هى قصص رصينة كلها منطق، وعقل، وطلاوة،
يجتذب القارئ اليها تشويق ممتع، وأسلوب غاية فى
الرصانة والإمتاع.
لهذا جميعاً أفضل أن يكون عنوان كلمتى تهنئة
وليست تقديم.

ثروت أباطة



قبل أن نقرأ

. عشر سنوات كامله مرت منذ أن صدر «الجزء الأول» من هذا الكتاب في بداية عام ١٩٨١ تحت عنوان : (رحلة السندباد في أعماق الجهاد).

وقتها انبرى بعض الكتاب والأدباء يقيمون هذه التجربة ، وقد كان تشجيعاً كريماً منهم عندما وصف بعضهم فكرة الكتاب . بأنها جديده وتستحق التطوير وطالبني البعض منهم بمواصلة إثراء التجربة وإمدادها بعناصر الكتابة الاجتماعية والأدبية . . .

وقد ذهب بعض الأدباء إلى القول : أنها محاولة الكتابة بأسلوب العصر العباسي خاصة (ابن المقفع) ؛ حيث كانوا يسوقون أفكارهم الانتقادية على لسان حيوانات تتحدث عن معاناتها .

ظلت فكرة كتابة «الجزء الثاني» من الكتاب تراودني ، وتلح عليّ طوال هذه السنوات العشر . . كنت أفكر دائماً في شخوصي الجديدة . . . فقد قدمت في «الجزء الأول» . . الدينار، والشاطيء ، وساعة الطبيب، والفسطان والمرأة، والشقة الخالية ، وصندوق القمامة ، والتلفزيون ، والطائرة ، وغيرها . .

ولقد كان نفاذ الطبعة الأولى عن آخرها بعد أيام من صدور الكتاب - مسئولية كبيرة تواجهني كلما بدأت الاستعداد لكتابة «الجزء الثاني» . . وهناك أيضاً سبب جوهري كان وراء مرور العشر سنوات الماضية دون ظهور «الجزء الثاني» . . من الكتاب . . وهي تلك الدوامة السريعة التي درت فيها طوال السنوات الأخيرة ، وأنا أحاول تثبيت أقدامي ، وأن أجد لي موقعا في بلاط صاحبة الجلالة . . من أعمال صحفية متواصلة أسجد لله شاكراً أن بعضها قد وجد استحسانا في نفوس القراء وكذلك لدى أساتذتي وزملائي في مهنة البحث عن المتاعب . . .

وكما هو معروف فإن الكتابة الأدبية تحتاج قدرًا متزايدًا من التفرغ والتركيز وهو أمر لم يكن سهلاً وسط خضم مسؤوليات يعلمها القريبون منى . ، والذين يمرون في نفس الظروف، أو يراقبونها عن قرب .

بقى أن أقول . . . إنها محاولة لاستنطاق الجهاد . . . ورصد نبضه . . . والقرب من أعماقه ومشاعره . . . ، وسماع أنينه وترجمة معاناته . . . ، والوقوف على آرائه في تعامل الإنسان غير المتحضر معه . . . ، وقسوته عليه إضافة إلى صلفه وغروره .

إنها تجربة إنسانية أقدمها للقارئ العزيز آملاً أن يراها أكثر ثراء من تجربة «الجزء الأول» . . . فعشر سنوات من الجهد الفكري، والصحفي والإعلامي . . . لا بد وأن لها معطياتها، وانعكاساتها على أسلوب الكاتب وهو ما أتمنى أن يكتشفه القارئ العزيز بين سطور هذا الكتاب .

محمد مصطفى



یومیات دفتر شیکات



لست من الذين يحبون كتابة المذكرات واليوميات والخواطر . فأنا بطبعي وبحكم تكويني ، ودوري في الحياة تعودت على الكتان ؛ لكني لجأت اليوم لهذه الوسيلة بعدما قرأت بحثاً لواحد من كبار علماء النفس من بنى البشر يؤكد فيه : أن كتابة المذكرات والخواطر تخفف الشعور بالحزن والألم . . أنا حزين . . حزين بكل ما تحمل الكلمة من معان .

لقد تكالبت على كثير من الهموم ، والمشاكل وأصبحت لا أطيق الحياة مع هذا المخلوق المسمى : إنسان . . . لولا طبيعتنا نحن الجهاد ، وتكويننا النفسى المتوازن والذي يختلف عن البشر . . لولا ذلك لفكرت مثلهم في حماة الانتحار عندما يلجأ إليها بعضهم في مواجهة مشكلة غالباً ما تكون من صنع يديه .

بعد أن قام صانع ماهر ، وماكينة حديثة في تجميع ورقاتي الخمسين المزخرفة بألوان زاهية وخطوط متناسقة وبيانات واضحة بعد أن اعتلاها اسم البنك العملاق الذى أنتمى إليه مكتوباً بخط عريض منمق وبحروف ذهبية لامعة .

بعد هذه المرحلة ضمنتنا أياها أخرى جمعت الصفحات الخمسين ووضع فوقها وتحتها غلاف أنيق وتمت عملية التجليد . منذ ذلك اليوم أصبح لى كيان . . . كيان محترم . . . ينتظر دوراً قىل : إنه هام . . أودعت مع أشقائى الدفاتر فى خزانة كبيرة تمهيداً لعملية التوزيع على العملاء .

بينما نحن فى تلك الخزانة التى يسودها الدفء والتى لفتها الظلمة من كل جانب - سمعت همهمات بين الأشقاء . . . أخذت اتابع . . . كانوا يتحدثون عن الخطوة القادمة ، ويتساءل كل منهم : ترى سيكون من نصيب من . . ؟ تماماً كما تفعل بنات حواء عندما يشتد عودها وتبدو الأنوثة تسرى فى كيانها . ترى من هو العريس ؟ . . سمعتهن يقولون : الدفتر الكبير للشركات والمؤسسات والدفتر المتوسط - مثلى - للمكاتب ، والأفراد ، وذوى التعاملات الكثيرة .

أما شقيقتى الصغيرات فهن من نصيب متوسطى الحال الذين يحصلون على دفاتر الشيكات ؛ من أجل الوجاهة ، والتظاهر . فهم عادة يضعون مبالغ متواضعة

في حسابات يفتحونها خصيصاً للحصول على الدفتر، وسرعان ما يسحبون أرصدهم ليرتكوا الدفتر المسكين يرتعش بلا غطاء.

كان الأشقاء لا يزالون في حديثهم، وأنا أستمع - حتى عم الضوء أرجاء الخزانة -، وفتح بابها، وامتدت يد تحمل مجموعة من الدفاتر: كنت واحداً منها. . بدأت عملية التوزيع. . وضعوني أمام موظف هادئ الأعصاب. يتنسم لكل من محدثه. . . إنه على ما يبدو مدير حسابات العملاء، أو الحسابات الجارية.

عندما جاء دورى حمل الموظف المذهب ورقة صغيرة من أمامه سجل عليها بعض البيانات الخاصة بالعميل الذى سيملكنى، ثم شبك الورقة بدبوس فوق غلافى، ونادى على أحد السعاة، وقال - بحزم - : إذهب بهذا الدفتر للأستاذ سمير شاهين وانتظره حتى ينتهى من طباعته، وأحضره لى فوراً. . قال الساعى - مستفسراً فى دهشة - : (سيادتك بتقول فوراً. يعنى النهارده. . .) رد الرجل فى حزم وقال: (دلوقتى حالاً. . .) وراح يطلب سمير شاهين بالتليفون مؤكداً على سرعة إنجاز الدفتر حيث إن العميل المهم جداً مشرفاً فى غرفته. . ذهب الساعى - وهو يتمتم بكلمات غاضبة - (دلوقتى حالاً. أيه الكوسة دى. بنك كوسة. وبلد كلها كوسة فى كوسة. يعنى لو عميل تانى كان طلب منه الحضور بعد أسبوع. حاجة تغيظ. . .).

سلمنى الساعى المستاء. . . لشخص آخر أكثر استياءً. . . ألقى بى على مكتبه بعنف وهو يقول: (يعنى لازم النهارده. كان حضر بعد يومين. هى الدنيا حطير. . . ياساتر).

دقائق معدودة وكان العمل قد انتهى فوق غلافى الخارجى وصفحاتى الخمسين فلم يكن الأمر سوى كتابة: أسم العميل، ورقم حسابه وكان الرقم من فئة أ (فى أى بى) ثلاث سنات يعنى (٦٦٦) وألحقهم بحرف (ج) لقد طبعتهما على صدرى وصفحاتى ماكينه متقدمة جداً وسريعة. . لا أعرف لماذا غضب الساعى والموظف طالما أن الموضوع كله لم يستغرق سوى دقائق معدودة أشعرت العميل بالرضا (والبرستيج).

فى أدب جم سلمنى الموظف المبتسم للعميل المتأنق قائلاً: أنت تأمر يا جلال بك. . . .

هذه اللحظة هي أسعد لحظات حياتي . . الجهاد يسعد ويزهو عندما يقوم بدوره في إسعاد الناس، وتقدم البشرية . . . ، يشعر بالثقة بالنفس عندما يكون موضع ثقة الآخرين . . . ، عندما يساهم في تنظيم التعاملات بينهم في إطار من الاحترام والالتزام والوضوح . . . ، أليس هذا هو الدور الذي ينتظر صفحتي الخمسين؟ .

وضعت الرجل في شنطة يده الأنيقة، فوجئت أن لي زملاء كثيرين من نفس جنسي يقبعون في هذه الشنطة المنظمة بعناية . . أخذت أنفحص وجوههم . . . إنهم مثل يحملون نفس الاسم . . دفتر شيكات . . الخلاف فقط في: الأرقام، واسم البنك . . . وجدتهم جميعاً يرحبون بي . . . لكنني لمحت نظرة إشفاق من أحدهم . . . قال لي هامساً: يا صديقي . . لا تغتر باسم البنك العملاق الذي أصدرك ولا حتى للرقم المميز الذي تحمله المهم يا صديقي (الغطاء) . . قلت وماذا تعني . . . قال: بعد أن تستريح قليلاً سوف أشرح لك كل شيء . . سوف أنقل اليك تجاربي مع هذا الرجل (الغريب) الذي يملكنا .

وأرجو ألا تكون مثل بنى البشر الذين لا يقبلون نصائح أقرانهم ممن سبقت تجاربهم؟ ويتهمون من يسدى إليهم النصيحة بأنهم جهلة لا يفقهون . . . إلى أن تقع الفأس في الرأس ويقول ياليتني . . . ولكن بعد فوات الأوان .

قلت لزيملي: حاشا الله أن أكون مثل البشر في صلفهم وغرورهم . . أرجوك اشرح لي تجاربك لأتعلم منها . .

بدأ في شرح بعض متاعبه، ومتاعب باقي الزملاء . . . وفجأه غمرتني الأنوار . . . فقد فتح صاحبي الحقيبة، وتناولني ، - وظل - لبعض الوقت - يتأمل صفحتي . - وهو يضع بين شفتيه سيجاراً ضخماً يكمل به جو الأناقة الذي يحيط به سواء في: مظهره، أو أثاث مكتبه، أو في تلك السكرتيرة الحسنة، التي ظلت تعرض عليه البريد - في دلال أنيق - وبصوت يعزف الكلمات قبل أن تنبس بها الشفاه .

في هدوء تناولتني هذه الحسنة وقالت - بنبرات ذكية - : سيادتكم فتحت حساباً جديداً . . الله دا رقم يجن . . ثلاث ستات مرة واحدة (٦٦٦) .

كانت السكرتيرة تريد أن ترفع الكلفة مع المدير الذي حاول أن يبدو رصيناً فنطق

بكلمة واحدة(كله بثوابه)وأردفت هى قائلة : لا وانت الصادق . . كله بفوايده فرد - بحزم - :مين اتصل بى ؟

من جديد . . . عاد صوتها يعزف حروفاً وكلمات . . . أساء وأساء . . . كنت أترافص طرباً واستحساناً . . . كدت أصاب بإغواء لذيذ من روعة العطر الذى اجتاحتني من يديها الناعمتين وهما تضاهيان . . . إن هذا العطر الفواح . الذى ينتشر شذاه في أرجاء الغرفة منذ أن دخلتها، جعلنى أتساءل كيف سيتحملة هذا المسكين؟ والى متى؟

طال بى التأمل وهى لاتزال تغرد . . . ولايزال سيل من الأسئلة تدق على رأسى . . . إذا كان هذا هو حال السكرتيرة، التى تبدوا أمام مديرتها آية في الرقة، والجمال، والأنوثة فما بالها في بيتها وأمام زوجها . . . ثم إذا كانت السكرتيرة تصنع حول الرجل كل هذا الجو المبهج فما الذى تصنعه له زوجته في بيته؟ . . . فهي المعنية بإسعاده ورعايته .

إن أجواء الموسيقى الناعمة والزهور الباسقة في أرجاء المكتب وكل ما ذكرته من عطر، وأناقة، وأنوثة السكرتيرة الحسنة . . . هو السعادة بعينها . . . أما منزل المدير فلا بد أنه الجنة بكل ما تحمل من أوصاف .

بالسعادة هؤلاء البشر! . . . كل شيء في هذه الدنيا مسخر لخدمتهم وإسعادهم . . . كل شيء يحيط بهم جميل . . . مريح . . . رائع . . . صحت من تأملاتي على صوت السكرتيرة، تقول لمديرتها - وقد زادت مساحة الدلال في صوتها - : سيادتك عندك دعوة مهمة يوم الخميس . . . حفل عيد ميلاد .

رد قائلاً : مين ده ياترى؟ .

قالت : أنا يافندم . . . أملى تشرف سيادتك في حفل عيد ميلادى .

صمت الرجل برهة، وسألها : فين دفتر الشيكات الجديد؟ .

ناولتني له برقة . . . سطر فوق الشيك الأول هذه الكلمات . . . تاريخ اليوم . . . الحامله . . . فقط ألف وخمسمائة دولار . . . وفي الجزء الأخير من الشيك والذي يسمى : الكعب . سجل : كلمات تبرع خيرى، ثم فصل بين الشيك، والكعب وأحضر مظروفاً من أمامه وضع فيه الشيك، وسلمه لسكرتيرته قائلاً : كل سنة وأنت طيبة يا شريفة . . . أناأسف جداً؛ سأكون مسافراً يوم الخميس، لكن قلبى معاكى . . . معلىش دى هدية بسيطة .

الآن فقط عرفت أن السكرتيرة الحسنة اسمها «شريفة» ياله من اسم جميل خاصة إذا كان على مسمى... أما شريفتنا هذه فلا أعرف أين تقف من اسمها.

قالت شريفة - وهي تتسلم المظروف - : مش معقول كده يا أفندم... أنا كان يهمنى أكثر وجود حضرتك... معقول آخذ فلوس.

هدأ المدير من روعها وقال : أنت تعملين معي من ستة أشهر وتعرفين طبعي... أنا راجل عملي وأحب سكرتيرتي تكون عملية مثل... وبعدين يا شيفي دي مش فلوس... ده شيك... أنا كتبت له الحاملة حتى لا يعرف أحد من الموظفين، وبإمكانك تظهيره لأي شخص يصرفه.

قالت - بدلال - : على كل حال شكراً يا أفندم.
قال جلال - وهو ينظر لسكرتيرته الحسنة نظرة ذات مغزى - : عندما أعود من السفر حعملك عيد ميلاد خاص لكن على طريقتي.

خرجت السكرتيرة وهي تحمل الشيك الذي انقطعت صلاتي به، ولا أعرف : ماذا فعلت به شريفة؟

كان هذا هو الشيك الأول... أول ورقة في كياني... أعترف أنني سعدت أول الأمر عندما سلم صاحبي الشيك لهذه الحسنة... فقد لمستته أناملها الرقيقة... وربما غمره بعض من عطرها الفواح، وقد تشتري به ضمن ما تشتري فستاناً أنيقاً، زجاجة عطر راقية، باقة زهور باسقة، لوحة جميلة معبرة، أو أى من الأشياء التي يمكن أن تشتريها حسنة مثل شريفة.

وهنا أتوقف قليلاً لأقول إن الجهاد يسعد بالجمال وتكون قمة سعادته عندما يكون في خدمة هذا الجمال.

ما هي إلا لحظات حتى ألقاني صاحبي في حقيقته وخرج مسرعاً فقد كان على موعد مع رجل أعمال مثله في أحد الفنادق.

ما إن دخلت إلى الحقيبة، حتى تلقفتي زملائي - في فضول كبير - أخذوا يتساءلون : وهم يقلبون محتوياتي، وقد أكتشفوا : أن الورقة الأولى قد حررت لفاعل خير بمبلغ ألف وخمسة دولار... نظروا إلى بعضهم البعض في دهشة وهم يتمتمون : ألف وخمسة دولار لفاعل خير... كيف؟

لم تبدل دهشتهم، إلا عندما شرحت لهم حكاية السكرتيرة الحسنة... قلت لهم كل ما حدث بين المدير، وشريفة، وكانت المفاجأة، فقد فتح كل منهم أوراقه ووجدت فيها جميعاً: اسم فاعل خير.

سألت: هل أخذت شريفة كل هذه الشيكات؟ قال كبيرنا: ليست شريفة هذه بالذات ولكن شريفات أخريات... تأتي الواحدة منهن للعمل وبعد بضعة أشهر تبدأ شيكات التبرع الخيرية تنهال عليها في نفس الوقت الذي تنهال على صاحبنا القبلات التي تتبعها الرذيلة كاملة.

أخذت أستعرض مبالغ الكعوب التي كتب عليها تبرع خيري بأرقام مختلفة ٦٠٠ - ٢٥٠ - ٤٠٠ - ٣٠٠ - ٥٠٠ الخ.

قلت: ولكن الأرقام كلها لا تحمل رقماً مائلاً للألف وخمسمائة دولار التي حصلت عليها شريفة.

رد زملاء - وفي صوت واحد تقريباً -: ألم تقل لنا أنها رائعة الجمال؟ ألا تعرف أن لكل شيء ثمنه؟ وعادة ما يكون الشيك الأول بمبلغ كبير حتى يكون الإغراء شديداً.

لفني حزن شديد من كلام زملائي... انتحيت زاوية بأقصى الحقيبة أخذت أردد - في نفسي -: أهكذا يا شريفة...؟ أهذا هو ثمن العفة والفضيلة؟ كيف ستواجهين نفسك؟ كيف ستحملين اسمك وقد أبدع الله في رسمك؟

دقائق من هذا التأمل المرير، ثم فتح صاحبي حقيبته، وبحث على دون أقراني وأخذني، ووضعني فوق الطاولة، وهو لا يزال يتحدث إلى صديقه... سمعته يقول له: إن صفقة السيارات هذه مضمونة مائة في المائة... لقد رتبت كل شيء... التجار والجارك... كل شيء... ما هي إلا ثلاثة أسابيع فقط، وتنتهي الصفقة، وتربح مئات الألوف.

وكان صاحبه يستمع في اهتمام، ويتفحص وجه صاحبي الذي كانت تبدو عليه كل علامات الجدية، والصدق، والذي فتح غلافه، وتعمد أن يبدو كعبد الشيك الأول (تبرع خيري) ثم بدأ يسطر الصفحة الثانية... شيك جديد... إنه مبلغ كبير... كبير جداً... سلم صاحبه الشيك بعد أن فصله عن الكعب، وقام

صاحبه بتسليمه شنطة فتحها له ، وقال : عدّ الفلوس ؟ أغلقها صاحبي في حزم . . .
قائلا : عيب ياراجل الدار أمان .

كان يوماً مرهقاً للغاية . . . أخرجني صاحبي - خلاله - تسع مرات ، : هذا لتاجر
سيشارك في ذات الصفقة ، ثم شيك آخر كبير فهمت أنه رشوة لأحد البشر معدومي
الضمير ، وهذا شيك قدمه تسديداً لدين قديم ، وشيك : لزوم الفيلا الجديدة بالغردقة
للديكور ، والاثاث ، أما الشيك التاسع فقد كان بقية ثمن لنش الصيد الذي اشتراه
صاحبي من قبل ، ولم يتسلمه ، حيث إن هذا الشيك هو أحد شروط التسليم .

لا أكاد أفهم : لماذا أخذ الرجل كل هذه الأموال لعمل صفقة السيارات إياها ؟ .
لماذا يسدد جزءاً كبيراً من المبلغ في أشياء تبدو لي غير ضرورية ؟ أنه أمر البشر الذي لا
يخلو من العجب والريبة .

مضى أكثر من شهرين . . . صاحبي لم يعد يستعملني كثيراً . . . وذات يوم
فتح الحقيبة والتقط منها سيجاراً ونسى الحقيبة مفتوحة - وكان يوماً لا أنساه - كانت
شريفة قد غيرت موقعها . . . فبدلاً من أن تقف أمامه أو حتى بجانب مكتبه . .
وجدتها قد وقفت خلف مقعده وهي مائلة للأمام وقد وضعت راحتيها على كتفيه . .
ياإلهي . . ما هذا الذي أراه ؟ . . أهذه (شريفة) ؟ . . شريفة في ماذا إذن ؟ كان المدير
يتحدث في التليفون وهو في حالة يرثى لها - رغم مداعبات السكرتيرة الحسنة
(اللاشريفة) .

توقف فجأة عن الحديث ، واستأذن محدثه للحظات أمر فيها السكرتيرة أن تتركه
الآن وتعود بعد المكالمة . . . غمزت بعينيها ، وخرجت ليواصل حديثه ، وهو يقول - لمن
يتحدث على الطرف الآخر - : ياباشا إحنا أصحاب من زمان . . . أرجوك ، اتصرف
إما تأخر صرف الشيك أسبوعين ثلاثة ، أو تصرفه على المكشوف ، وأنا رقبتي سداًه .

كنت أسمع صراخ الرجل على الطرف الآخر وهو يصيح : أنت عايز توديني في
داهية . . . لايمكن نصرف على المكشوف . . . دبر حالك مع العميل .

انتهت المكالمة العاصفة مع مسئول البنك بعد أن اتفق معه على مهلة أسبوع
واحد .

كانت الأموال التي حصل عليها صاحبنا من البنوك ، والتجار ، والأشخاص

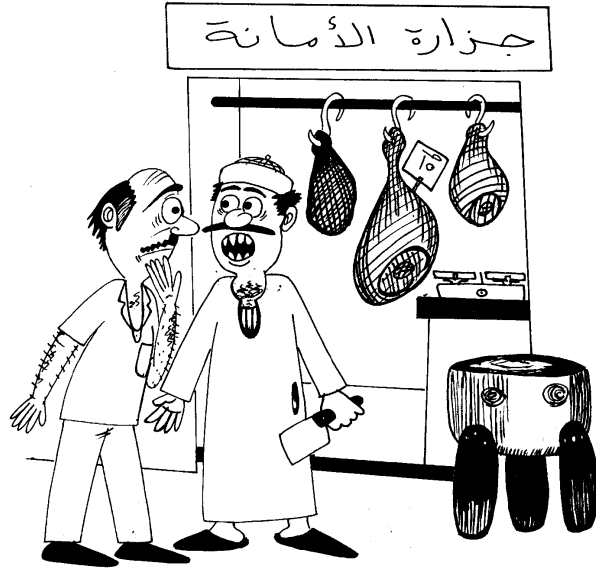
كبيرة... كبيرة جداً... بالملايين... أنفق جزءاً كبيراً منها في سخافات مخجلة.
دخلت السكرتيرة قال لها - بحزم -: «احجزيلي تذكرة على أول طائرة لأثينا»
قالت: أمتى يا أفندم؟
قال - وقد علا صوته -: قلت في أقرب فرصة اليوم... الآن... بسرعة من فضلك.

انصرفت وقد اصفرَّ وجهها الأبيض، فقد كانت تعرف الكثير، وتشعر أن مديرها يستعد للهرب. سادها ارتباك شديد... لا أعرف ما هو السبب؟ اننى لم أرها منذ الشيك الأول... ترى ماذا حدث لها؟ أشعر أن شيئاً ما قد حدث... أشعر بذلك منذ أن رأيت يدها فوق كتف مديرها... شعرت أنها لم تعد شريفة.
انشغل صاحبي بجمع أوراق كثيرة، وملفات من خزانته كان يلقيها بسرعة في الحقيبة.

دخلت السكرتيرة من جديد تبلغه: بأن المقدم حامد عوض من المباحث يريد مقابلته... صمت برهة... وقال: دعيه يدخل... أبلغه رجل الأمن بإجراءات قد اتخذت ضده... قال له: سيادتك مقبوض عليك... لم ينطق جلال بكلمة واحدة... لكن المفاجأة تفجرت عندما دخلت شريفة وقد ابتسمت ابتسامة تحمل كل معاني التشفى، وقالت لمديرها: سيادتك مصمم على حجز التذكرة بتاعة أثينا اليوم... قالتها وأطلقت ضحكة لا تتفق مع اسمها... بصق المدير على وجهها وهو يترك مكتبه مع رجل الأمن الذى وضع في يديه أساور حديدية. وبعد ماذا أقول؟
ماذا أسجل؟ هل البشر أغبياء إلى هذا الحد؟ أم هم يستخدمون ذكاءهم فقط في الشر؟... أه لو استخدم الإنسان عقله في سائر أمور حياته! لأصبح بحق جديراً بهذا العقل الذى ميزه به الله علينا نحن الجهاد!



یومیات میزان



. هي دى التسعيرة ومن غير ميزان... فاهم.

أننا واحد من الأدوات التي لا تحصى ولا تعد . . ولكل من تلك الأدوات خصائصها التي تميزها عن غيرها . . لكنى أشعر - وبشكل خاص - بالزهو، والخبور لما أرمز له من حق وعدل . . وعلى الرغم من أنني أنتمى إلى جنس الجهاد . . وهو من المخلوقات التي سُخِّرَت لخدمة الإنسان . . إلا أن العلاقة بينى ، وبين بنى البشر ليست على ما يُرام . . أقسم لكم : أنني لست البادئ بسوء العلاقة . . لكنه . . هو . . الإنسان ذاته لا يتقى الله في سلوكه . . وباعتبارى أحد الأدوات التي ستنتطق يوم القيامة وتشهد عليه . . فإننى أشفق عليه من عذابٍ مهين سيلقاه في الآخرة : يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون .

سوف أشرح لكم في عجاله . . وفيما أتيج لى من سطور، قد تضيق بها لدى من سلبيات المخلوق هو بفعل إرادة الله، وحكمته، أرفع من جنسنا شأنًا، ومقامًا ومنزلةً . . وهو أمر ليس بوسعى أن أقترّب منه مقدار أنملة . . . فعندما يتعلق الأمر بمشيئة الله . . فلا اقتراب .

كما تعرفون فإن دورى في الحياة هو إقرار العدل . . لذا فتجدوننى رمزاً للقضاء والعدالة .

خلال مسيرتى في هذه الحياة عملت في أكثر من مكان . . وكُلِّفت بأكثر من عمل . . لكن الدور بقى واحداً، وعلى الرغم من عمليات التجديد والتطوير التي أدخِلت على كيانى . . لكننى ظللت وسيلة للحكم بين الناس .

في البداية . . كان عملى في محل لبيع الفاكهة والخضار يسمى : (فكهانى الأمانة) .

وللهلّة الأولى ربما يعتقد البعض، أن شكواى ستجىء فقط من البائع الذى يعتمد أن يضع كمية أقل من حق الزبون، ويستخدمنى في إيهامه بأن الوزن

مضبوط . . إن ذلك يحدث كثيراً : فمن البائعين : من يعبث في أجزائى ، لترجيح الكفة التى بها بضاعته أكثر من قطعة الحديد التى توضع في الكفة الأخرى ؛ لتحديد الكمية، ومنهم من يضع مع السلعة الموزونة - وبخفة يد تفوق الحواة - يضع قطعة

حديد، أو حجراً، مستخدماً مهارة كبيرة بحيث لا يلاحظها الزبون، وفريق ثالث يمد أحد أصابعه - وبسرعة كبيرة أيضاً - في اتجاه الجانب الذى فيه السلعة ليضغط عليه لأسفل حتى تميل الكفة، وهكذا.

كل هذه وسائل قديمة استطاع الكثير من البائعين معدومي الضمير أن يغشوا بها زبائنهم. . . لكن البعض من هؤلاء الزبائن استطاع كشف هذه الألاعيب، وعادة ما تكون النتيجة . تبادل الألفاظ النابية والانهامات.

أما صاحبي الذى عملت عنده لعدة أشهر، فكان بائعاً شريفاً بكل المقاييس. . . فقد ابتدع حيلة خبيثة:

لقد أحضر عدداً من الأكياس، ووضع بها فاكهة، معظمها معطوب وركنها بجواري، وما أن يأتيه الزبون يطلب عنياً أو تيناً أو أى فاكهة أخرى حتى يعطيه كيساً فارغاً ويظل الزبون ينتقى حبات الفاكهة الناضجة، والنضرة ويسلمها للبائع، لوزنها. لكن الملعون - وبخفة حركة متناهية - يقوم باستبدال الكيس بالكيس المجاور لي والذي يضم الفاكهة المعطوبة، وبعد أن يشرب الزبون المقلب يعود البائع لتفريغ الكيس الذى انتقى الزبون حباته بعناية. . . يفرغه مع الفاكهة التى يعرضها وكأن شيئاً لم يكن.

يا هؤلاء البشر معدومي الحس والضمير. . إن ذلك لا يحدث فقط مع بائعي الفاكهة وحدهم، لكن كثيراً من الجزائريين يفعلون ما هو أكثر بشاعة من ذلك!، فلا يكتفون بالورق السميك جداً الذى يزنونه مع اللحم!، ولا يقطع الدهن التى يدسونها وسط اللحم رغماً عن أنف الزبون. . . ولا بالمغلاة الكبيرة فى السعر، بل إن البعض منهم - وأيضاً بخفة يد قد لا تتوفر لدى الحواة - ينتهز فرصة انشغال الزبون بأى شئ . ويقوم أثناء تقطيعه اللحمية التى وزنها - والتى يصل مقدار نقص وزنها حوالى ٢٠ ٪ من الوزن المطلوب - يقوم كذلك باستبدال بعض قطع اللحم بنوع آخر من اللحوم يقل ثمنه عن النوع الذى اشتراه الزبون، بل إننى لأبالغ إذا قلت: إن بعضهم يبيع لحم ققط، وكلاب، على أنها لحوم أغنام، وأبقار. . . وهؤلاء هم قمة البشاعة والانحطاط.

لقد أَلَحَّ على سؤال كبير. . . لم أعرف له إجابة. . . لماذا يفعل هؤلاء البشر ذلك؟ لماذا يغشون بعضهم بعضاً: فيسرقون فى الوزن، ويستبدلون سلعا حصلوا على ما

أرادوا من أسعارها بأخرى أقل منها ثمناً؟ لماذا يحرصون على أن تميل دائماً كفة الميزان عندما يشترون هم سلعهم؟ ولا يفعلون ذلك عندما يبيعونها.. أولم يقرأوا آيات بينات من سورة المطففين؟ يقول فيها رب العزة: .
﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝ الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝ وَإِذَا كَالُوا لَهُمْ أَوْزَافَهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ (١) صَدَقَ اللهُ الْعَظِيمُ.

السؤال الآخر- الذى كثيراً ما أطرحه ولا أجده له إجابة -: هل يقرأ هؤلاء البشر كتبهم المقدسة التى آمنوا بها؟ وقد أوضحت المصير البائس الذى ينتظر هؤلاء الذين يغشون ويعيثون فى الأرض فساداً؟! .

بينما أنا مستغرق فى كتابة هذه الحواطر . وإذ بشقيقى (دقة) يأتى لزيارتي . . وما أن رآنى حتى أرتقى فى أحضانى ، وقد بدت عليه ملامح التأثير والأسى . . . لحظات وتساقطت دموعه منهمة على وجنتيه الرقيقتين ، وأخذت أهدىء من مشاعره ، حتى غادرته الدموع ، وإن لم تغادره الكآبة ، والأسى .

قلت : هون عليك يا شقيقى ، ماذا بك؟ وكيف وصلت إلى هذه الحالة من الحزن؟ أنت بالقطع أسعد منى حظاً ، وأوفر راحة . . فأنت من النوع «اللاكترونى» المتطور والذى يصعب على صاحبك أن يستغلك فى الغش فى الوزن ، وأنت يا شقيقى لاتعمل فى وزن الأشياء الثقيلة ، وصاحبك - على ما أعلم - رجل ، ثقافة رفيعة مثل زبائنه . . ما أسعدك يا عزيزى دقة . . . ففوق دقتك توضع الجواهر النفيسة : الذهب والفضة ، الماس يتلألأ فوقك ، والعطور تفوح من زبائنك ، والأموال تتراقص فوق أيدي صاحبك .

ابتسم شقيقى لأول مرة منذ أن جاء . . ابتسامة أسى ، وقال : ليتنى كنت قد حملت من الأوزان أثقلها . . بدلاً من أن أحمل من الأوزار أرضها . يا شقيقى العزيز: إن صاحبك : بائع فاكهة كان أو جزاراً . . ماذا يسرق؟ . ثمرة برتقال أو رمان أو حتى تفاح : ثمرتين . . ثلاث . . ؟ ماذا يسرق . . قطعة لحم أو قطعتين؟ . . إن ذلك كله يهون . . لكن :

السرقة عند صاحبي : أشكال ، وألوان . . . أنواع وأوزان . . . سرقة فى الأفراح

(١) سورة المطففين آيات ، (١ - ٣)

والأحزان . . آه . . آه من ظلم ذلك الإنسان لأخيه الإنسان !

قلت لشقيقى (دقة)، احكِ لى يا شقيقى، أفرغ من همومك وأحزانك، فإن الحزن هو آفة الشباب، والصحة، وهو عدوهما اللدود.

قال شقيقى : إن صاحبى واحد من بنى البشر الذين يمثلهم هذا العصر بل هم مع الأسف نجوم هذا العصر، يمتلك واحداً من أكبر محلات الذهب والمجوهرات . . . اسمه بديع وأعترف أن ذوقه أيضاً بديع . . ينتقى قطعاً رائعة من الماس والأحجار الكريمة . . . الكريمة جداً . . زبائنه ورواده من عليّة القوم أقصد : عليّة قوم هذا العصر.

منذ أيام اتصل بواحدة من زبائنه القدامى ليزف لها بشرى وجود خاتم من الماس الحر، وما هى إلا ساعة واحدة، حتى جاءت حسناء رائعة الجمال . . منذ اللحظة الأولى التى دخلت فيها المكان تناثر شذا عطرها الفواح مع نسبات الهواء الباردة التى تنبعث من جهاز التكييف . . فتحول الحيز كله إلى عبق من الجمال، فتحولت إليها الأنظار، والأفكار، وكل شىء . . ثم عزف صوتها قطعة موسيقية قصيرة، لكنها رائعة : «هاى بديع . . فىن الخاتم».

كان بديع فى تلك اللحظة يعرض مشغولات ذهبية على عروسين . . تركهما على الفور وعهد اليهما بشقيقه فايز، وأسرع يستقبل زبونة الأثيرة . . أهلاً إيمان هانم . . المحل نور، ثم انحنى يقبل يدها . . فتح خزائنه الكبيرة، وأحضر منها عليّة حمراء رائعة . . ما إن فتحها حتى صاحت : «أوه . . فانتستك بكام يابديع ؟» «من غير فلوس ياهانم . . مش كفاية انه حيتشرف بصباغ حضرتك»!!؟ .

ردت فى دلال أرستقراطى «ألا صحيح بكام؟ ده يجنن» . . . ناولته الخاتم بعد أن زينته ببعض أناملها الجميلة . . وضعه فوق دفتى فى حركة مسرحية، وأقسم لكم : أنه لم ينظر إلى مؤشر أو يقرأ وزن الخاتم . . وقال لها - بثقة - عشرة آلاف دولار علشان خاطرك ياهانم.

تناولت الخاتم من جديد، ووضعتة فى إصبعها، وقالت - هدهوء شديد، ودون اكترأث :- «مش كتير يابديع»؟ . . رد صاحبى فى هدهوء أشد . . مبروك ياهانم . . الفلوس وصلت . . «إحنا يهمننا رضا سعادتك» «مرسى مرسى قوى يابديع» .

أخرجت دفتر الشيكات . . ياله من دفتر . . إنه أيضاً بديع . . جميل . . أنيق . .
وعلى ما يبدو أن غطاءه كبير . . المهم . . كتبت الحسناء شيكا . . عشرة آلاف دولار
بالتمام والكمال . . لقد تم كل ذلك في وقت لم يتجاوز ١٥ دقيقة .

قلت لشقيقى : إنها حكاية عادية تحدث في أماكن كثيرة ، ومع كثيرين من البشر ،
والموازين أيضاً . . لماذا أنت غاضب إذن ؟ قال شقيقى : أرجوك انتظر قليلاً فالحكاية
لم تكتمل بعد .

- تفضل أكمل .

بعد أن خرجت الحسناء ووضع بديع الشيك في الخزينة ، عاد لشقيقة (فايز)
الذى كان منهمكاً في استعراض ما لديه من دبل وأساور للعروسين اللذين توقفوا قليلاً
ليشاهدوا سيناريو بيع خاتم الـ ١٥ دقيقة والعشرة آلاف دولار والحسناء المدهشة . .
ويعلم الله بحالتهم النفسية وهما يشاهدان عشرة آلاف دولار تدفع في بضع كلمات قليلة
دون مساومة أو مجهود .

قال بديع لشقيقه . . حتى الآن لم يستقرا على شيء . . عنك انت . . ووجه كلامه
للعروسين . . « مفيش حاجة عجبت حضرتكم » .

قال الشاب في أدب . . الحقيقة كل حاجة هنا ذوقها جميل . . لكن الحقيقة
الإمكانات « يعنى : علشان كده بندور على حاجة على أد ميزانيتنا » .

فجأة . . تحول صاحبي بديع إلى لا بديع . . تخل عن رفته البالغة ، والتي كان
يعامل بها الحسناء - منذ دقائق - . . ليتحول إلى شيء مختلف . . لست أجد من
الكلمات ما أصف بها طريقتة في الحديث : أسلوبه ، كلماته ، نبرة صوته ، لقد أخذ
الأساور من يد العروس الشاب ، ونهرهما قائلاً : اسمع يا أستاذ . . « حقوقك
نصيحة . . إلى ممعوش مايلزمهوش . روح حوتش الأول وبعدين ابقى المحوز » .

قال هذه الكلمات وهو يللم المشغولات الذهبية من أمام العروسين ويغلق عليها
فتريته . . بينما وقف الشاب يدافع عن كرامته أمام عروسه ، أو قل يدافع عن فاقته
قائلاً : « دى قلة ذوق . . احنا زباين ، مش جاين نشحت منك » .

أطلق صاحبي ضحكة ساخرة فيها كل الغرور والصلف وقال : زباين . .
هاها . . ها .

ياإلهى . . ما هذه القسوة . . كيف استطاع هذا اللابديع أن يحمل داخله شخصيتين مختلفتين تماماً؟ هل أصيب بما يسمونه انقسام شخصية؟ لا أعتقد . . هل لانه قد ربح من الحسنة مبلغاً محترماً في خمس عشرة دقيقة يقسو على هذين الشابين اللذين يصعدان أول درجة في سلم حياتهما الزوجية؟ . هل هذا هو جزاء الفقير: سوء المعاملة وسوء الأخلاق؟

ليست هذه هي المرة الأولى التي يتعامل فيها اللا بديع مع الفقراء، فكثيراً ما كنت أراه يبيخس العديد من رواد محله ممن ضاقت بهم الدنيا، وأملت بهم ظروف قاهرة، لبيع حلّى، اشتروها في أوقات يسر، أو ادخروها لأوقات ضيق . . إنه يحمل ما يريدون بيعه ويلقيه فوق ظهرى بإهمال متعمد . . ثم يتحدث لصاحبه باستهتار متعمد أيضاً عارضاً عليه ثمناً بخساً، بعد أن يكون قد تفحص قسيات وجهه وقرأ بخبرته مدى حاجته، وكثيراً ما يقبل الزبون بالإجحاف في مواجهة ظروفه الصعبة .

إنه ظلم الإنسان لأخيه الإنسان، وإذا كنا نحن الجهاد نشفق على الإنسان من قسوة البعض من بنى جنسه، فأنا في دهشة من تبلد المشاعر الإنسانية للبشر تجاه بعضهم البعض .

قلت لشقيقى بعد أن انتهى من سرد روايته - التى وضح من خلالها مدى رهافة حسه وشفافيته . . . قلت له : يبدو أن تعاملك مع الذهب والجواهر النفيسة، والأنامل الجميلة، كل ذلك قد جعلك رقيق الحاشية .

إن كثيراً من هؤلاء البشر ياعزيزى، قد أصابت قلوبهم وضائرتهم غيبوبة دائمة، فقدوا الإحساس بغيرهم، وتمادوا في غيهم، وجنحهم وجشعهم .

وفيحاة . . سمعت وشقيقى ما أراح أعصابنا وهداً نفوسنا . . فقد انطلق صوت مذياع قريب بكلمات جميلة تذكرنى وأبناء جنسى كلمات الله عز وجل - وهو يوصى بنى البشر على أنا وأشقائى . . فيقول : - عز من قائل - في سورة الرحمن ﴿وَأَنصِتْ لَهُ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (١) صدق الله العظيم .

(١) سورة الرحمن آيات : (٩٠،٨٠٧) .



بدون تعلیق ۔

يوميات مسرح



. مش معقول كل ماتخرج عن النص.. تقولي دا أبداع فني .

« ما الدنيا إلا مسرح كبير » . هذه العبارة أطلقها واحد من عظماء الجيل الماضى من الفنانين . . إن هذه الجملة تتطابق الى حد كبير مع الواقع . . لعلكم عرفت من أنا . . أنا مسرح . . عريق فى تاريخى . . عميق فى رسالتى . . أجيال وأجيال مرت على فنانين وفننين . . مشاهدين ورواد . . إنها حياة حافلة عشتها على مدى حياتى .

. قد يظن البعض أنى أنحاز للقديم . . لكنى فى الواقع أعشق التجدد والتجديد . . شرطى الوحيد: أن يكون ذلك التجديد إلى الأفضل . . وقد يرى البعض أنى أتوق الى الماضى، وأتمسك بتلابيبه . . ولم لا . ؟ . وقد كان هذا الماضى ثريا بكل ما فيه من عمق ومثالية . . سوف تكتشفون ذلك من خلال المتاعب التى أعانيها، والتى تنبض بها هذه السطور.

سوف لا أتحدث عن الماضى كثيرا، وسأترك الحاضر بكل ما يحمل من مأس يمجد الماضى .
تسعة أشهر ولا تزال هذه المسرحية تعرض يوميا على خشبى . . تسعة أشهر يقف الممثلون يكررون هذا النص الهزلى، الذى حار فيه المخرج المخضرم؛ فأدخل الكثير من الحركات البهلوانية، التى يؤديها الممثلون؛ لينتزعوا بها ضحكات الجمهور المتعطش لأى موقف يثير الضحك، والابتسامة، بعد أن أصبح كل شىء - خارجى، وفى ساعات يومهم - يثير التجهم والكآبة .

كان الممثلون فى هذه المسرحية خفيفى الظل، وكانت لهم خبرة كبيرة فى إضحاك الجمهور . . لم يجدوا فى النص الهزلى المواقف الباسمة، أو الجمل الكوميدية؛ فأخذوا يضيفون للحركات التى ابتكرها المخرج جملا من عندياتهم، وهو ما يسمونه «الخروج على النص» ولكن . . أى خروج هذا؟! إنه ليس خروجا عن النص بقدر ما هو خروج عن الأدب . . عن اللياقة . . إيجاءات جنسية رخيصة، وكلمات تحمل معانٍ قابلة «للولى» .

كنت أحس بالخجل الشديد؛ وقد رأيت منذ أيام أسرة محترمة، جلست على

مقاعد الصف الأول . . الزوجين، وابنتيهما الاثنتين، وابنها الشاب . . وما إن بدأ الممثل المشهور- بطل المسرحية - في «ديالوج» يفتقد إلى اللياقة، والأدب مع البطلة والتي بدت وكأنها وقعت في مأزق، عندما فاجأها الممثل بهذا السيل من الخروج على الأدب . . آسف النص . . بادلته أول الأمر وكأنها تقول له . . إنها أيضا تستطيع التأليف الفوري مثله . . لكن . . عيب، لكنه غمادي . . أطرقت الأم وابنتها وقد علت وجوههن حمرة الخجل، وتساقطت قطرات العرق من وجه الأب، وما هي إلا دقائق معدودة حتى نظر لأفراد أسرته وقد كثر عن أنيابه وقال: هيا بنا . . بلاش كلام فارغ . . أخذ الابن الشاب يرجو والده في إلحاح أن يستمروا في مشاهدة باقى المسرحية فلا تزال في الفصل الأول . . لكن الأب رد قائلا: خليك أنت لو كنت عايز . . وقام مسرعا نحو الباب تتبعه أسرته كلها بها فيها الشاب . . كان البعض يضحك من الأعماق على الكلمات الخارجة التي يبتكرها الممثل؛ ليعالج النص الهزيل، وفي نفس الوقت كان هناك من يتأفف ويعترض همسا . . أما الملحن فقد أغلق الأوراق التي يلقن منها؛ حيث الغنى الممثلون دوره وظل واضعا راحتيه على خديه، يستمع الى النص الذي يبتكره كل يوم ممثلون مستهترون .

منذ أيام اجتمع مدير المسرح، والمؤلف، والمخرج، وبعض أبطال المسرحية يناقشون الإنذار الذي أتاهم من الرقابة؛ لخروج الممثلين عن النص المعتمد؛ وأخذوا يتبادلون الاتهامات:

المؤلف يعترض في حق، ويقول: إن هذا الخروج على هذا النص الذي صاغه يسىء الى العمل؛ ومن ثم إلى اسمه الكبير . . والممثلون يردون بأن الأيام التي التزموا فيها بالنص، لم يضحك مشاهد واحد . . وبصراحة . . الناس تدفع هذا الثمن المرتفع في التذاكر؛ لكي تضحك .

أما المخرج فقد أخذ يفلسف الأمر؛ ويطرح قضية قتلت بحثاً ولم تحسم . . هل الضحك للضحك، أم الضحك للهدف؟ .

مدير المسرح كان له رأى آخر . . فقد كان شريكا في الإنتاج . . أخذ يقول: يا جماعة أنا لا أبحث قوة النص من عدمه ولا تهمنى قضية الضحك للضحك أو الضحك لجهنم . . أنا يهمنى أن المسرح لا ينغلق بمعرفة الرقابة . . هذا هو ثانى

انذار. . أرجوكم ياناس؛ «بلاش خراب بيوت. .» «إنتم عارفين كام بيت مفتوح على المسرح ده؟» .

كان بطل المسرحية ممثلاً ذا شهرة كبيرة؛ فهب واقفاً، وقال وهو يستعد للخروج: «أنا النص ده ما يعجبنيش، لما تحببوا نص كويس ابعثولى. . واتجه ناحية الباب وسط ثورة المؤلف، الذى ظل يردد كلمة واحدة لم يغيرها دى إهانة. . إهانة لا أقبلها. . جري مدير المسرح، والمخرج، وراء الممثل فى محاولة لاعادته لحلبة الحوار. . ظل الممثل على موقفه. . لا بد من الخروج على النص؛ طالما النص الأصل لا يضحك الناس. . أخذ مدير المسرح يرجو الممثل: ألا يخرج على النص كثيراً؛ خاصة وأن الرقابة «واخده بالها هذه الأيام.»

وانتهى الاجتماع إلى لا شىء. . وفى المساء. . بدأ العرض وبدأ أن الممثلين ملتزمون إلى حد كبير فى عدم الخروج على النص. . ولكن ما حدث كان أكثر من الخروج على النص، وأبشع. لقد أخذ الممثلون والممثلات يخرجون عن الحركات التى رسمها المخرج، لتصبح إيهاءات جنسية أكثر من الكلمات، وحدث ما حدث فى الليالى السابقة من انصراف أكثر من أسرة، وهى تسب وتلعن. . ليس فقط. . الممثلين بل يسيئوننى أيضاً، ويتهموننى بأنى مسرح «هلس»!!!

لم تكن معاناتى من الفنانين فقط بل إن المعاناة امتدت للجمهور أيضاً. . وهنا أجدنى مضطراً للرجوع إلى زمان وأيام زمان. . ليتها تعود بكل ما فيها من احترام، ووقار، والتزام. . لقد كان الذهاب الى المسرح حدثاً تستعد له الأسرة بارتداء أجمل الثياب. . والجلوس فى هدوء واهتمام. . كنت لا تسمع همس أثناء العرض.

أما الجمهور هذه الأيام فقد حرص الكثيرون منه على جلب أكياس اللب والسودانى، وخلافه، يظنون يتناولونه محدثين صوتاً يدعوا للاستياء، بل إن بعضهم يحضر معه أكياس البرتقال، واليوسفى، والمأكولات المختلفة، يملئون بها صالتى. . يظنون يتحدثون أثناء العرض، ويعلقون تعليقات خارجة؛ كثيراً ما يثور بسببها الممثلون؛ فيوقفون العرض.

ولعل أكثر ما يصيبنى بالضيق هؤلاء الذين يحملون معهم الصغار فى سن الرضاعة، وفجأة. . ينطلق الأطفال فى البكاء؛ فتظل الأم تحاول إسكاته دون

جدوى، وبعد أن يتوقف العرض، وتسدل الستار، يخرج الزوجان؛ فيعود العرض مرة أخرى وسط استنكار الحضور. أما البائعون الجائلون فحدث ولا حرج. . . ضوضاء واستغلال للجمهور وغير ذلك كثير من السلبيات أشاهدها ولا أستطيع الحديث عنها. أنتقل بخواطرى ويوميأتى إلى مكان آخر. . . إنه المسرح الخلفى، الذى يسمونه «الكواليس».

إن من يشاهد الفنانين فوق خشبتي يؤدون أدوارهم، يخيل إليه أنهم كما يقول البشر: «سمن على عسل» والحقيقة أنهم شحم على نار. . . إن كلاً منهم يسعى للاستحواذ على أكبر قدر من اهتمام الجمهور، ومن هنا يأتى الخروج على النص والخروج عن الحركة، وعندما يدخلون إلى غرفهم يبدأ العتاب، الذى ينتهى عادة بمعركة، يفصلها - دائماً - مدير المسرح، أو أولاد الحلال من زملائهم.

على أن الغريب حقاً أن هناك «لوبي» بين كل مجموعة منهم. . . أحزاب بلا برامج. . . هذه الفنانة من شلة فلان، وفلانة من شلة فلانة. . . وهكذا.

كما أن الجمهور أيضاً لا يرحم. . . ففي الدقائق القليلة التى يغلق الستار خلالها ليستريح الممثلون، يظل المصور يصطحب مجموعات من الجمهور؛ ليلتقط لهم الصور مع الفنانين والفنانات، وفي كل الأحوال فلا بد أن يتسم الفنان حتى لو كان داخله بركان من الغيظ والاستياء.

أما خارجي. . . فإن هناك نوعين من المتفرجين في غير حق: أحدهما قبل العرض وهم بائعو التذاكر، فيما يسمى بالسوق السوداء، يرتبون أمورهم مع باعة التذاكر التابعين لإدارتى، فإذا ذهب رب عائلة، يسأل عن تذاكر في الصفوف الأولى، فإن الرد جاهز دائماً «محموذة» وعلى بعد خطوات يحصل على أفضل المقاعد، وكله بثمنه.

وبعد العرض فإن سائقي «التاكسيات» هم الفرسان. . . مغالاة لايرضاها الله.

كل هذه الأحداث والمآسى ربما تحزننى، لكن ارتفاع الأسعار المستمر لتذاكر الدخول هو أكثر ما يثير قلقى. . . فهذه الأسعار الملتهبة والتى تبتعد عن إمكانات السواد الأعظم من الناس؛ تجعل روادى من طبقة معينة، وأنا أحب كل الناس. . . أتمنى أن تصل رسالتى لكل البشر.

والآن . . وأنا أختتم خواطري هذه، اعذروني وأنا أسترجع الأيام الخوالي . . أيام
كان أمثالي من المسارح تقدم على خشبتها عروضاً ذات أهداف سامية، حتى ولو
ضمت ضحكات لا بد منها، لغسل القلوب وإسعادها . . وأيام كان الفنانون ملتزمين
ليس فقط بالنص بل بالذوق واللياقة . . وأيام كان روادى وعشاقى من الذين يقصدون
الفن، ويحترمون وجودى، ويحرصون على نظافتى . . وأيضاً أيام كان القائمون على
يحرصون على صيانة مرافقى، ومشأتى.

آه لو عاد زمان . . «يا زمان ارجع . . . ارجع يا زمان» !!!



يوميات قلم



البصر والبصيرة . . العقل والحكمة . . خصائص ميز الله بها الإنسان على جنسنا نحن الجراد . . ولكن يبقى السؤال كبيراً ملحاً . . ترى هل استفاد بنو البشر بهذه المزايا وتلك الخصائص؟

لا أعتقد ذلك . . فلا زال هذا الإنسان بكل ما يملك من مزايا وبكل ما يملك من وسائل سخرت لخدمته لا يرقى إلى المستوى الذى يجعله متميزاً حتى علينا نحن الجراد . لعل هذه المقدمة القصيرة تعكس لكم معاناتى مع هذا المخلوق المسمى «إنسان» .

أسف لقد نسيت فى غمرة هذه لمشاعر الغاضبة أن أعرفكم بنفسى :
أنا قلم . . واحد من رموز الثقافة والحضارة والرقى . . فلقد أقسم رب العزة باسمى فى سورة «القلم» حيث قال عز وجل : ﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝ مَا أَنتَ بِمُعْزِزٍ ۝ لَا يَجْنُونَ ۝ ۱ ﴾ (١) وليس هناك ما هو أدل على مكانتى من هذه الآيات المباركة . .

وعلى الرغم من هذه المكانة الرفيعة إلا أن البشر يحلو لهم أن يجنحوا بدورى ويسبئون استخدامى . . عندما تحملنى أناملهم ليسطروا بى أعظم أنامهم وخطاياهم . . كثيراً من الأسرار احتفظ بها . . أئن بحملها وأبتئس ؛ لأنى أشارك فى كثير منها فصاحبى يستخدمنى كأداة ، حتى أن دموعى تنهمر من عيني فى صورة قطرات مداد تسقط على الوريقات البيضاء وهى وسيلة احتجاجى الوحيدة على حماقات البشر عندما يبدلون دورى ليصبح دورا شريرا يؤلم ضميرى . . ولكن ماذا عسائ أن أفعل ؟ فأنا مجرد أداة .

خطرت لى اليوم فكرة . . لماذا لا أتحرر ولو لبعض الوقت من عبودية الإنسان وشروه . . فقررت أن أحضر فوق هذه الأوراق البيضاء بعضاً من خواطرى . . أسقط عليها قدراً من همومى ومعاناتى . . من أحزاني وحننى . . من بنى البشر . . فقد ساقنتى الصدفة البحتة للقاء حار مع أشقائى . . فلم أكن قد رأيتهم منذ وقت

١ - سورة القلم : ١ - ٢

طويل .. ففوجئت بيد تحملني وتلقى بي في علبة خشبية يسمونها «مقلمة» وبداخلها وجدت أشقائي .. جاف ورصاص وفلوماستر .. بل وجدت أيضا شقيقتنا الكبرى (ريشة) . بالقبيلات الحارة التقينا .. بعد قليل أغلق علينا باب المخزن . (المقلمة) واجتاح الظلام المكان باستثناء شعاع ضوء جاء يسعى من فتحة صغيرة تركها صاحبنا عن غير عمد ..

وجهت شقيقتنا ريشة سؤالاً واحداً لنا جميعاً .. كيف حالكم يا أشقائي ؟ .. لكن أحداً منا لم يجب .. عادت ريشة تقول مالكم قد سكتم جميعاً وكأن على رؤوسكم الطير .. قلت لها .. وماذا تقولين يا عزيزتي ريشة ؟ لا بد أن لدى إخوتي ما لدى من مشاعر الحزن والاستياء .. قالت : إذن هات ما عندك .. إنها لحظة بوح علناً نستطيع مساعدتك .. قلت : وأنا أتهد .. إنها أشياء وأشياء .. هموم تنوء بحملها الجبال ..

إن صاحبي الذي أعمل في خدمته .. رجل تبدو عليه علامات الوفاق والاستقامة .. تجاوز العقد الخامس من عمره ببضع سنوات .. متزوج وله ثلاث بنات وولدان .. أما زوجته .. تبارك الخلاق العظيم فيها وهبها من جمال الشكل والسلوك معا ..

الرجل يشغل موقعاً مرموقاً في إحدى الوزارات .. إن ما حدث منه منذ أيام يعكس مدى قدرة البشر على الخداع والتضليل .. فواء هذا المظهر الرصين كان يقبع مراهق عتيد .. فقد دخل الرجل بيته فتناول طعام الغداء ثم أدى صلاة العصر .. دخل إلى غرفة مكتبة بعد أن .. أوصى زوجته بعدم إدخال أى شخص عليه أو تحويل أية مكالمات تليفونية له ، حيث إنه مشغول جداً في إعداد تقرير مهم سيرعرض صباح الغد على السيد وكيل الوزارة ..

جلس الرجل على مكتبه وفتح حقيبته ليخرج منها دفترًا .. لأول مرة أشاهد مثل هذه الأوراق التي يضمها هذا الدفتر .. لونه (روز) وقد رسم عليها فراشات وقلوب وسهام .. ما هذا .. إن رائحة جميلة تنبعث من هذه الأوراق .. في البداية ظننت أن هذا الاهتمام سببه أن التقرير سيقدم لمسئول رفيع هو وكيل الوزارة .. لكنني فوجئت أن الرجل وضعني بين أنامله وبدأ يسطر رسالة غرام سوف أستعرض لكم بعضاً من سطورها :

حبيبتي وفاء .. أنت الوفاء .. كل الوفاء .. في الأرض .. وفي السماء .. في

الظلمة . . وفي الضياء . . معك . . الدنيا كلها هناء . . والبعد عنك شقاء . حبيبتي
وفاء . . بالأمس سهرت الليل كله أنظم لك قصيدة حب وهيام . . هذه هي بعض
أبياتها:

أحسبك حياً بعيد المدى عميق القرار قوي الصدى
أحسبك فوق حدود الخيال وفوق الحياة وفوق الردى

هذا يا أشقائي هو بعض ما كتبه صاحبي لوفائه . . وكم من الجرائم يرتكبها
البشر باسم الوفاء! . . .

لقد أرتعشت بين أنامل هذا المراهق الكبير . . بل إنه كاد يغشى على من مفاجأة
أخرى جاءت بعد عدة سطور حيث قال صاحبنا:

«وفاء» . .

لا تغضبني مني لأنني صرخت في وجهك بالأمس . . لقد كان ذلك يا حبيبتي من
أجل التموه على الموظفين الأغبياء وحتى لا يكتشف أحد منهم أننا نعيش سوياً أعظم
قصة حب . . فيقولون علينا ويفتضح أمرنا وتنتشر شائعات تقول: إن الرئيس واقع
لشوشته في حب إحدى موظفاته . . يا له من مخادع حقير! . . يخفي وراء هيئته الزائفة
مخالب وأنياباً . . ويظلم زوجة طاهرة تحافظ له على ماله وعرضه وذريته . .

أخذت أتساءل . . ماذا لو دخلت زوجته - فجأة - لغرفة المكتب وشاهدت
الجريمة التي كنت فيها مجرد أداة؟ . . ماذا لو قرأت هذه الرسالة؟ ساعتها كيف
سيكون موقفه مع أولاده وبناته؟ . . إن الجميع في هذا البيت وربما خارجه يعتبرون
هذا الرجل المراهق بصورته المزيفة أمامهم بالرصانة والوقار والاستقامة - يعتبرونه قدوة
ومثالاً للخلق القويم.

أخذت شقيقتي ريشة تمسح عن وجهي قطرات الدموع . . «المداد» . . وهي
تقول لا تحزن يا أخي (حبر) فإن كثيرين من بنى البشر عندما يصلون لهذه السن
تنتابهم أعراض مراهقة متأخرة . . فتبدوا منهم هذه الأفعال .

لقد قرأت بحثاً أعده عالم من بنى البشر . . تخصص في علم النفس أخذ يبرر
لأبناء جنسه هذا السلوك ولا أعرف إن كان على صواب أم لا . . إنه يقول: في بحثه . .
إن الملل الذي يصيب العلاقة الزوجية - بعد سنوات طويلة من الزواج - يُشعر كلاً
الزوجين بالرتابة تحيط بهما من كل جانب . . بل إن الرجال - على وجه الخصوص -

تنتابهم مشاعر الملل ، ورغبات التجديد . فقد بدأت الزوجة في تكريس كل وقتها ، واهتماماتها ، ورعايتها لأولادها الذين احتلوا مركز الصدارة في دائرة اهتمامها بعد أن فقدته الزوج عن جدارة ، ولم ينجح في استعادته رغم كل المحاولات .

لقد استغرقت الزوجة في واجباتها نحو الأبناء . . إن مشاعر الأمومة قد طغت على ما عداها من مشاعر أخرى فأهملت الزوج ونسيت أو تناست أنها زوجة قبل أن تكون أمًا . . كما تناست أيضاً أن هذا الرجل المسمى زوج والذي تعيش معه تحت سقف واحد إنسا هو طفل . . نعم طفل في مشاعره ومطالبه وحاجاته . . وأن تساهله عن المطالبة بحقوقه في فترة ما أنها هو بداية دخوله في مرحلة جديدة . . ولكن بعيداً عن عيني الزوجة . . وليصبح الزوج بعد فترة مجرد (ممول) .

أما الزوجات فلهن رأى آخر يتلخص في : أن الإنسان يعيش في حياته مراحل عديدة :- ففي مرحلة ما بعد الزواج مباشرة تكون المتعة في اللهو واللعب . . . ، في الذهاب والإياب . . . ، في السهر والسمر ، في الاستمتاع في اكتشاف الحياة والمجهول . الخ

وعندما يأتي ولي العهد ويتبعه بقية أفراد القبيلة . . فإن المتعة هنا يتبدل معيارها ، فهي تتمثل في رعاية الأبناء وتأمين مستقبلهم . . في تلقينهم خلاصة تجارب الأبوين . . في تحقيق الممكن من مطالبهم . . في محاولة تحقيق الأحلام الضائعة للأبناء من خلال الأبناء ثم الدراسة وهمومها المقرونة برغبات التفوق . . ، ثم في المرور من فوهة مرحلة حرجة في حياتهم . . هذه هي متعة مرحلة أخرى . . يعقبها مرحلة اختيار الزوج والزوجة المناسبين للأبناء والبنات ، وما يعقب ذلك من مسئوليات على الزوجين . . ثم تتبدل معايير المتعة مرة أخرى عندما ينتجب الأبناء فينتقل قدر من الاهتمام للأحفاد ومعه قدر غير محدود من المتعة . .

وهكذا . . لايزال الكلام هنا لشقيقتي ريشة .

أما أنا فقد قلت لها : بعيداً عن وجهتي النظر . . ومحاولة كل طرف في تبرير مواقفه وأخطائه . ألسنت ترين معنى أن الخيانة الزوجية شئ بغيض ؟

قالت ريشة : بالطبع بغيض بل إنه حقير أيضاً . . فلو سأل رجل نفسه مرة واحدة بصدق . . بإذا يشعر لو أنه علم أن زوجته تخونه مع رجل آخر ؟ . . ولو أن بعض

الرجال من جنس البشر يتبعج فيقول لك مجيباً . لا . الأمر مختلف . . ولا أعرف ما هو الاختلاف الذى يقصدونه . أليست المرأة مخلوقاً له مشاعر وأحاسيس ؟ . لماذا يتجاهل هؤلاء الرجال الهمجيون مشاعر مخلوق مثلهم هو المرأة ؟ ويسمحون لأنفسهم بها يجرمونه على زوجاتهم . ؟

وهنا خرج أخونا (جاف) عن صمته وبدأ يتكلم وقد بدت عليه علامات التأثر الشديد . . قال يا أشقائى الأعزاء . . إن مأساتى لا تقل بشاعة عن مأساة شقيقى (حبر) إننى أيضاً أعمل لدى سيدة خائنة . . إن سيدتى قد منحها الله جمالاً لو وزع على قارات الدنيا ما عرف القبح للعالم سبيلاً . . لكنها وبالأسف لا ترعى الله فى هذا الجمال . . فى هذه النعمة . . سيدتى . . متزوجة من رجل محترم . . ذى حسب ونسب وهيبة ومال وجاه . . وكل شىء . . لكن عيبه الوحيد من وجهة نظرها أنه يجب عمله كثيراً . . ويقضى فيه معظم ساعات نهاره وليله . . وهو ينفق معظم ما يكسبه فى تحقيق الرفاهية لزوجته وأولاده الثلاثة . .

أما السيدة الجميلة فهى لا تنجلى من الحديث عن حقوقها فى أن يقضى الزوج معها وقتاً مضاعفاً وإلا . (إلا) : هذه مبررات الخيانة عندها . . فقد تعرفت على شاب يقارب عمر ابنها (عزت) . . بل إنه يصلح لأن يكون خطيباً لابنتها (ليلى) مع ذلك فالمرأة تهيم فى غرام هذا الشاب المستهتر المسمى (صالح) والذى تلتقى به فى شكل شبه يومى . . منذ عدة أسابيع حدثت قطيعة بين سيدتى (واللاصالح) صديقها . . فقد بلغ به الاستهتار والجنوح أن اتصل بها فى وقت كان زوجها بالمنزل وطلب منها أن تقابله فوراً . . وعندما أبلغته أن زوجها بالبيت قال لها : وإيه يعنى سيبك منه . . اخترعى له أى سبب وتعالى

ولما امتنعت زجرها وأغلق سحابة التليفون فى وجهها وقاطعها عشرة أيام - كانا خلالها نجتنب كل منها صلابة الآخر؛ وبراهن أنفسهن بأن الآخر سوف يستسلم أولاً

وظلت سيدتى تراقب زنين التليفون فى لهفة . . لكن خيبة الأمل ظلت تلازمها طوال العشرة أيام الماضية بطولها . . ثم بدأت أولى علامات الاستسلام تبدو عليها . . وكنت أنا وللأسف الشديد أداة لهذا الاستسلام الرخيص . . دخلت سيدتى غرفتها . . أوصدت الباب بعناية . . وأحضرت ورقاً شديداً الشبه بالذى تحدث عنه أخى حبر . . فهو معطر وعليه سهام وقلوب وزهور وفراشات . . حملتنى بين أناملها .

وبدأت تكتب لصديقتها صالح... آسف (الاصالح) .. ما أسهل ما يختار
هؤلاء البشر من أساء لا تتفق مع واقعهم!
كتبت تقول:
حبيبي صالح ..

تعودت شعري الطويل عليك	تعودت أرخيه كل مساء
سنابل قمح على راحتك	تعودت أتركه يا حبيبي
كنجمة صيف على كتفك	فكيف تمل صداقة شعري
وشعري ترعرع بين يديك	وكيف ستنسى الحرير
وتنسى .. صلاة الحرير	على ركبتيك

قال شقيقنا (جاف) هذه الكلمات .. وراح في بكاء عنيف فظللنا جميعاً نهديء
من روعه ونطيب خاطره .. لكنه كان يقول في أسي .. أنا السبب .. أنا السبب ..
لقد كتبت تلك الخاتمة هذه الكلمات .. بمدادى .. بسنى .. بكيانى .

وهنا قلت له : ألم أقل لك يا شقيقى (جاف) أننا أدوات .. واننا جميعاً مسلوبو
الإرادة .. تلك الإرادة التى يملكها الإنسان .. ونحن للأسف بعض من ممتلكاته .

كان شقيقنا «فلوماستر» يتابع وهو مطرق الرأس حزناً .. قلت له : ماذا لديك
يافلوماستر؟ قال : همى ثقيل .. لقد ساهمت منذ أيام في شطب حق من حقوق
سيدى .. فصاحبى يملك شركة للإسكان المتكامل .. رجل صالح أسياً وفعلاً .. إنه
يبدو وكأنه (ملاك) يرعى الله في دينه وفي عمله وفي كل كلمة يقولها .. ملتزم ..
محترم وآخر تمام .

قلت : عظيم ، أين إذن المشكلة؟ .. وما هى حكاية الشطب الحرام الذى
قمت به؟

إن صاحبى يملك - ضمن ما يملك - قطعة أرض كبيرة .. كعادته استدعى لها
مهندساً عبقرياً طلب منه أن يخططها كعمارة عملاقة ثلاثة وعشرين طابقاً .. وبالفعل
وضع لها المهندس تصميماً أسباه (درة ستر) .. وقد رشح أحد أصدقاء صاحبى شركة
مقاولات لمهندس اسمه (سيد) يعمل هو «والأهل» في المقاولات بعد أن أثنى عليه ..
وبعد مفاوضات كثيرة تم الاتفاق وأقيم حفل استقبال بمناسبة توقيع عقد المشروع

الذى ستتجاوز تكلفته عشرة ملايين من الدولارات . . كانت الدفعة الأولى عند التوقيع
هى مليون ونصف مليون دولار . . قدم بها صاحبى شيكا للسيد والأهل .

مرت الشهور وأعقبها سنون ولم يتحرك سى (السيد) . . . وعود وعود . .
ما طلات يطول شرحها . . وصاحبى يغلى غضباً . . فقد أنجز ثلاثين مشروعاً . . نعم
ثلاثين عمارة تسلمها حاجزوها ولم يخرج عمود واحد من بطن هذه العمارة المنكوبة بهذا
المقاول المماطل . . حاجزو الشقق بدأوا يضغطون على مسئولى التسويق فى شركة
صاحبى . . بعضهم فقد أعصابه وبدأ يلوح باتهامات بل وتهديدات رغم محاولات
موظف التسويق : (مجدى) ، ورئيسه : (نبيل) . . . لكن دون جدوى .

كل ذلك ولا زال (سى السيد) المقاول هو والأهل غير عابئين بل إن كل ما فعلوه
هو أنهم وضعوا بعضاً من معداتهم فوق أرض العمارة . . فقط .

وفى أحد الأيام - وبينما صاحبى يجلس فى مكتبه - وإذا بأحد أصدقائه يسأله عن
سر تأخر مشروعه «درة سنتر» ؟ فشرح له مأساته مع المقاول طالباً نصيحته . . قال
الرجل لصاحبى . . من أوقعك فى هذا المقاول النصاب ؟ . . لقد فعل معى مثلاً يفعل
معك الآن . . بل إن هذه طريقته يماطل ويماطل حتى تتفاقم المشاكل وتترك له العربون
وهكذا . . أسقط فى يد صاحبى . . وقال لصديقه . . ما الحل إذن ؟ . قال الرجل
عوضك على الله فى العربون . لابد من إسناد المشروع لمقاول آخر إنقاذاً لسمعة
الشركة . . كلف صاحب الشركة مستشاره الاقتصادى (أمير وهدان) ورئيس القانونيين
بشركته (غنيمة حمادة) بالاتصال بالمقاول ومحاولة الحصول على ما يمكن الحصول عليه
من العربون وطلب سحب المعدات من الأرض لإسناد العملية لمقاول آخر .

بعد يومين . . عاد مجلس الإدارة للاجتماع وبنفس الأشخاص . . قال صاحبى فى
ضيق . . (ماذا تم يا أستاذ أمير، أنت، والأستاذ غنيم) .

قال الأول . . الحقيقة إن المقاول رجل سخيف . . لقد طلب مبلغ مليون دولار
أخرى غير مبلغ العربون حتى يسمح للشركة بتسليم الموقع .

تبدل لون وجه صاحبى واعتلته صفرة الألم وضرب بكلتا يديه على المكتب صائحاً
فى ثورة فاجأت الجميع . . فالمرءوف عن هذا الرجل أنه هادىء للغاية حتى أمام أقسى
المواقف وأصعبها .

قال : يعنى مليون دولار + المليون ونص اللى بقالمهم عنده ست سنوات ابن
(ال . . .) وقام فى عصبية بالغة تاركا الاجتماع وقد جرى وراءه نائبه وصديقه يحاولان
تهدئة الموقف .

لكنه ركب سيارته وانطلق بها فى عصبية متوجهاً إلى منزله ، وفى الطريق اكتشف
أننى لا أزال فى يديه فمن عادته فى الاجتماعات أن يمسك بى ويهزنى يمينا ويسارا . .
فأدخلنى فى جيب قميصه .

وددت لو كانت لى خصائص إضافية لأمنع كارثة أشم رائحتها . . فالرجل يقود
سيارته بجنون ، ويتمتم بكلمات غاضبة لا أفهم معناها . . دعوت الله أن ينقذه ، فهو
فعلاً إنسان طيب . . وعندما وصل الرجل إلى منزله . . واكتشفت زوجته بأحاسيس
الزوجة المخلصة أن خطباً عظيماً قد وقع سألته : فيه إيه ؟ . . فلم يرد ودخل غرفته ،
وفتح خزينته ، وتناول منها مسدسه وخرج مسرعاً يقود سيارته بسرعة فى اتجاه ضاحية
المعادى التى يسكن فيها المقاول النصاب .

أخذت أرتعش . . فأننا أحب سيدى . . وأستمع بخدمته . . وأخشى أن أفقده
فى لحظات يغيب فيها العقل . . فتقوده الأقدار إلى الكوارث .

وصل سيدى إلى فيلا المقاول وكانت الدماء قد وصلت إلى قمة رأسه واختلط لون
بشرته السمراء باللون الأصفر ليكوناً لوناً خاصاً يسمى : لون التوتر والانفعال كما يقول
أولاد البلد من البشر (تخطف لونه) . . أمام الفيلا الأنيقة التى تحتضنها حديقة يانعة
وتحيطها كل مظاهر الأبهة والجمال .

أوقف صاحبى سيارته بانفعال بعد أن غادرها . . لكنه فوجئ بأشخاص كثيرين
يقفون فى ردهة الفيلا . . بدت على وجوههم ملامح الأسى والحزن . . كان أحدهم
يعرف سيدى فصافحه وهو يقول : - البقية فى حياتك .

قال صاحبى . . فى مين . . رد فى دهشة . . فى سيد بك . . شهق صاحبى قائلاً :
مات . . . إمتى ؟ .

قال صديقه منذ ساعة فقط . . فقد سمع جيرانه طلق نارى وعندما دخلوا الفيلا
وجدوه غارقاً فى دمائه . . وأردف قائلاً . . الله يلعن الفوس وسنينها . . تصور واحد
نصب على سيد بيه من شهرين فقط فى ستين مليون دولار . . ومنذ أسبوع فرجى أنه

خسر تسعة ملايين جنيه في مقابلة طرق بالساحل الشمالى . . ولم يحتمل المسكين فانتحر.

انسحب سيدى وهو يردد جملة واحدة حتى عاد إلى مكتبه فقد ظل يقول طوال الطريق «لاحول ولا قوة الا بالله» . . وعندما وصل المكتب أحضر كشفاً لمديونات الشركة لدى الغير وأخرجنى من جيبه ليشطب على سطر كامل كتب فيه: «مليون ونصف مليون دولار مقدم مشروع (درة سنتر) لشركة (سيد والأهل) .

لقد حزنت كثيراً لهذا الحادث بقدر ما سعدت في الوقت نفسه .

حزنت لضياح هذا المبلغ من صاحبه ذى الأخلاق الحميدة والذى يسعى لخير الناس .

وسعدت لأن الله نجاه من كارثة كان سيقع فيها . . لقد قام الله بالمهمة . . أوحى إلى المفاول أن يقتل نفسه فيموت كافراً ولكي يتجى سيدى . . لقد تذكرت - الآن - قول الحق تبارك وتعالى ﴿ إِنَّا لَنَنصِفُ الَّذِينَ كَانُوا آمَنُوا ﴾^(١) .

قالت (ريشة) موجهة حديثها لشقيقنا رصاص : هل لديك أنت الآخر هموم بأخى رصاص . .

ضحك (رصاص).

وقال . . لا . . ليست همومى مثل أشقائى . . فأنا معظم معاناتى مع الأطفال - والأطفال أحباب الله - إنهم يعيشون في قامتى بعيداً عن مراقبة الأهل، فيضعون مقدمتى في دوامه تسمى (براية) تظل تدور بى حتى يخرج لى سن من أحشائى فيلعبون به من جديد، ثم يضعوننى من جديد أيضاً في الدوامة البراية وهكذا حتى قصرت قامتى . . وكل ما أخشاه أن يأتى يوم تبتلع هذه البراية ما تبقى من كيانى وينتهى دورى في الحياة .

قلت لشقيقى رصاص : لانتحزن بأخى، لقد اخترعوا منذ فترة سنوناً من الرصاص توضع في فم القلم فإذا كُسرت أو بليت أتوا بغيرها وهكذا دون المساس بجسد القلم أو العبث به . .

(١) سورة الحج آية: ٣٨

ثم توجهت لأختي (ريشة) فقلت: هكذا انتن جنس النساء.. سواء كنتن بشراً
أو جماداً.. تتحملن كل المتاعب دون كلل.. تحمل الأثني منكن حملها في كبد ومع
ذلك ينسب المولود لاسم لأبيه.. لقد استمعت لكل متاعبنا وهمومنا فإذا عنك
يا أختاه.. ماذا أنت فاعلة في حياتك.. قولي... بوحى... لنا فنحن أشقاؤك؟

ضحكت ريشة وقالت: لعل أسعد منكم حظاً.. فلا أنا أداة.. لخيانة زوج
وزوجة.. ولا أنا مضطرة لشطب حقوق.. ولا أتعرض لعبث أطفال أو كبار.. إن
صاحبي فنان تشكيلى يسمى: (إسلام) هذا الإسلام عظيم في كل شىء.. سلوكه
ومنهجه.. معاملاته مع الإنسان والجماد.. كل شىء فيه جيد.. إنه شاب ملتزم أبداً
التزام.. يحبنى كثيراً ويرعائى وينظفنى بعد كل مرة يستخدمنى فيها.. لكننى أرق
لحالته فهذا من النوع من البشر لا يعيش في بحبوحة من الرزق.. مشاعره رقيقة
وأحاسيسه مرهفة.. ويلتحف الساء ويحتضن الخيال.. يعيش الليل والسهر..
الهدوء والسمير.. لكن مثله من الفنانين يظل مستقبلهم في مهب الريح يلهث وراء
الرزق الحلال ويعانى أحياناً من سوء الأحوال.. ويعايش كثيراً من الأهوال..

إن هذه الفئة من الفنانين لا تأتئهم الثروة إلا في أرذل العمر..

فهاهو العبقري بيكاسو عرف الثروة في أواخر أيامه..

وهاهو (فانجوخ) الموهوب اشتهر بعد أن ذهب إلى رحاب ربه..

وهاهو (بتهوفن) بلغ أوج شهرته بعدما أصيب بالصمم.. وغيرهم كثير.

إن صاحبي يرسم أجمل اللوحات.. لا يحب الفن المبتذل ولا يرتاده أو يتعامل
معه.. يفعل في عصر أصبح فيه الابتزاز والإباحية ضمن مفاتيح الثروة والثراء..

رغم كل ذلك فأنا أحبه وأحترمه وأسعد كثيراً عندما تحملنى أنامله تنهل من
الطبيعة بسحرها وثرائها لترسم خطوطاً وفنوناً يسميها البشر تجريدية وانطباعية
وسريالية.. لا تهم الأسماء.

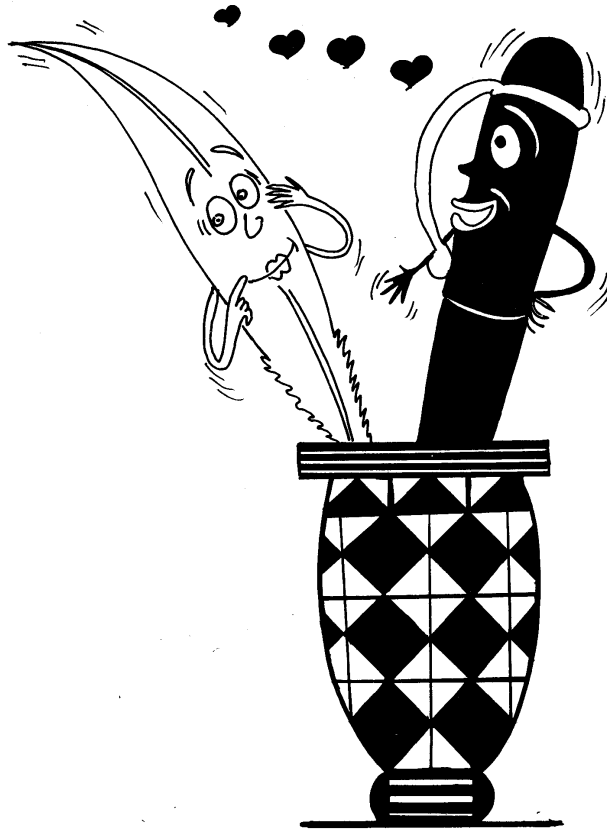
ماهى إلا لحظات.. وقد جاءت إشعاعات الضوء تغمرنا وتفرق بيننا.. وتنبى
سمرنا.. وماهى يد الإنسان تمد إلى المقلمة التى أفرغنا فيها أحزاننا.. فحملنى

صاحبي من جديد وقد بدت في يديه رعشة ربما جاء يستعد ليكتب رسالة غرام جديدة
في واحدة من لحظات المراهقة التي تنتابه ..

آه لو فهم بنو البشر معنى الآية الكريمة .. ﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾^(١)
صدق الله العظيم



(١) سورة القلم ٢٠١



یومیات مقہری



لم أكتب يومياتى وخواطرى لولا أنى أعانى هذه الأيام من البطالة . . نحن الجماد
تتنابنا مشاعر أليمة للغاية عندما نتوقف عن أداء دورنا، حتى ولو لبعض الوقت، وغالبا
ما يكون هذا التوقف لأسباب خارجة عن إرادتنا ولأحد سببين لثالث لهما:

الأول أن نكون قد تعرضنا لسوء استخدام من بنى البشر . . والثانى يتعلق أيضاً
بالإنسان حينما يتحرف بنا عن الأهداف، والغاية السامية التى خلقنا من أجلها.

والسبب الآخر هو الذى أدى إلى توقفى عن أداء دورى . . وهى أنا الآن أغلقت
أبوابى، ووضع عليها شريط، ثبت على بابى الرئيسى بالشمع الأحمر.

وسوف أحكى لكم قصتى من البداية . . ليست بداية تأسيسى وافتتاحى - فقد
كانت أياماً عظيمة خالدة، مر عليها الآن خمسة وخمسون عاماً بالتمام والكمال . . لكن
البداية التى أقصدها . . هى بداية مأساتى مع «المعلم بيومى» آخر ملاكى وكان هذا
منذ بضع سنوات لا أريد أن أتذكر عددها.

إن هذا الرجل شديد الجشع . . شديد القسوة والانحراف . . لا يهتم شئ فى
هذه الدنيا سوى المال . . يجمعه بكل الوسائل، ولا يقنع على الإطلاق . . إنه يفتح
أبوابى فى الثامنة صباحاً، ولا يغلقها قبل الثالثة صباحاً، وطوال هذا الوقت وأنا أعمل
وأعمل . . رواد يدخلون ساحتى، وآخرون يغادرون . . وجوه حَفَظت معظمها من
كثرة التردد . . إنهم لا يملون إضاعة الوقت، وغالبا فيما لا يفيد بل إن بعضهم يخسر
الكثير والكثير من ماله وصحته وقد خلف السهر ومايملأ به صدره من دخان أزرق
مغموس بالسموم . . خلف له هالات سوداء تحت عينيه، لكنه لا يبالي ولا يتعظ .

منذ أيام . . وفى نحو السابعة مساء، سمعت ضوضاء . . أصوات عالية : وصوت
أقلام يصفع بها رجل فى الخمسين من عمره شاباً يتراوح بين السابعة عشرة
والعشرين . . عرفت فيما بعد : أنه ابنه . . والحكاية أن أحداً وشى لدى الأب . . وأبلغه
أن ابنه يجلس يومياً على «المقهى» يومياً دون انقطاع، فحضر الأب ليضبط ابنه متلبساً
وخائنه أعصابه، فراح يكيّل له الضربات وبكل الوسائل عندما ضبطه مع أربعة من

أقرانه يلعبون الورق «الكوتشينة»، ولسوء حظ الابن فقد حضر الوالد بينما كان هو يدخن سيجارة، وبطريقة توحى أنه مدخن محترف.

كان غضب الأب شديداً فقد أرهقته الضربات الغاضبة على وجه الابن وجسده بالأيدى والأقدام... وما هي إلا دقائق حتى سقط الأب مغشياً عليه؛ فقد كان يعاني من مرض عضال بالقلب ولم يكن هذا المجهود العصبى والعضلى يتمشى مع حالته... تجمع الكثير من روادى... والتفوا حول الأب... البعض يمسك جريدة يهوى بها عليه... والثاني يقرأ في أذنه آيات من القرآن... وأحدهم أحضر من الصيدلية جازتى قطنة مبللة بمحلول النشادر، أفاق الأب مباشرة بعد أن لمست القطنة أنفه، وقد وقف الابن تائها يردد كلمة لا غيرها بابا... بابا.

نظر الرجل لابنه نظرة كلها أسى وعتاب... أخذ الواقفون يخفون عن الأب بكلمات لم تلق في نفسه أى صدى، فأخذ ابنه وانصرف، ولا أدري ما هو مصير الابن الضال.

وماهى إلا أيام ثلاثة لم يأت خلالها الابن ورفاقه وجدته قادماً يتقدم شلته، وما إن رآه المعلم حتى سارع إليه قائلاً: اسمع يا أستاذ نبيل: دى قهوة محترمة، وكفاية اللى حصل من والدك، والسباب الذى طالنا منه... ضحك نبيل فى لامبالاة وقال... يامعلم ولايهكم هو احنا أطفال، استسلم المعلم؛ فكل مايمه هو أن ينفق هؤلاء الطلبة المزيد والمزيد؛ فهو كما قلت إنسان جشع.

أخذت الأيام تمر... وهؤلاء الطلبة يأتون يومياً... فقد تحولوا إلى مقامرين... ليس فقط بثمان المشاريب التى يشربون منها رشقات قليلة ليحملها العامل قائلاً لهم كل نصف ساعة تقريباً: تشربوا إيه يابهوات فيبدأ دور جديد وهكذا... أصبحوا يلعبون على أشياء عينية... كاسيت... ساعة... سلسلة ذهبية... ثم فلوس.

قاتل الله القمار فقد أصبح يجرى فى دمائهم...

تكرر ما حدث من والد نبيل: فقد جاءت والدته أحد أفراد الشلة، وأحدثت فضيحة كبيرة بعد أن أخذت ابنها من بين شلته، وصاغت له ملحمة من الشنائم والإهانات.

... فقد كانت أرملة رحل زوجها، وترك لها ثلاث بنات، غير هذا الشاب

المستهتر، ولا تملك سوى معاش زوجها الذى يبلغ مائة وعشرين جنيها فتضطر للعمل فى حياكة الملابس لدى جيرانها؛ حتى توفر لأولادها حياة كريمة، خاصة وأنهم جميعا فى مراحل مختلفة من التعليم.. لقد قالت كل هذا وهى تبكى، عندما أراد أحد روادى أن يطيب خاطرها.

عندئذ قرر المعلم عدم دخول أحد من هذه الشلة إلى.. وفرحت جداً بهذا القرار؛ فقد كنت أدرك أنه بسببى سوف يضيع مستقبل هؤلاء الطلاب.

وبالفعل غاب الطلاب يوماً واحداً، لكننى فوجئت بهم يأتون فى العاشرة والنصف صباحاً، ولم يكن المعلم قد وصل بعد.

وبعد ساعة من وصولهم، وصل المعلم، والتقطه أحدهم، قبل أن يعلن ثورته التى كانوا يتوقعونها، وقال له: الحقيقة يا معلم «إحنا أسفين جداً للذى حدث»، لكننا قررنا أن نأتى صباحاً بدلاً من مساء؛ حتى لا يعرف أحد من أهلنا.. ضحك المعلم بخبث، وقال: «برضه فكرة».. وانصرف..

أصبح وجود هؤلاء الطلاب فى العاشرة والنصف من صباح كل يوم أمراً عادياً فهم أول ما أشاهد كل صباح.. والعجيب كانوا يقضون معظم اليوم يلعبون دون كلل، وكثيراً ما رأيتهم يتصايحون لاختلافهم على لعبة ظناً من أحدهم أن منافسه قد سرق من الورق.. يتفوهون بكلمات هابطة لا ترقى لمستوى بشر متعلمين.

حزنت حزناً شديداً فى أحد الأيام، عندما قدم المعلم بيومى لأحد هؤلاء الطلاب لفافة صغيرة من الورق «السوليفان» بعد أن همس فى أذنه بكلمات لم أسمعها.

وقتها رأيت وجه الشاب تعلوه سعادة زائفة.. لحظات: ثم راح يجرى عملية جراحية لسيجارة: حيث أفرغ من أحشائها بعضاً من الدخان وأخذ يفرك المادة التى تشبه قطعة الصلصة القائمة التى أعطاها له المعلم ويضعها فى أحشاء السيجارة، ثم يعبىء من جديد ما فرغه من الدخان.. ثم أشعلها.. وسحب منها نفساً عميقاً.. أعقبه نوبة سعال شديدة حاول الشاب التماسك بعدها، وسط ضحكات زملائه فاضطر لسحب أنفاس أخرى، ثم ناول السيجارة لجاره الأيمن الذى فعل نفس الشيء وناولها لجاره وهكذا.. وظل صاحبنا يجرى العمليات الجراحية لعدد كبير من السجائر.

.. ولكنى لاحظت أن هؤلاء الشباب بدأوا في ضحك هستيرى، بعد أن انتشرت حولهم سخافات من الدخان .. وبعدها جاء المعلم يعاين نتيجة فعلته، فقال: لهم في صوت أجش إيه الأخبار يابهوات .. المزاج تمام .. ؟ ردوا جميعاً قائلين: تمام التهام ياسيد المعلمين .. أردف قائلاً: اليوم المزاج على حسابى .. اذا احتجتم في أى وقت .. «احتنا في الخدمة» ..

وهكذا بدأ هؤلاء الرحلة .. كنت أحزن كلما رأيت هؤلاء الطلاب وقد أدمنوا، هذه السموم، كما أدمنوا لعب القمار .. وكنت أنظر إليهم في أسى، وحسرة. لقد تغيروا تماماً .. تغيرت مفردات كلامهم .. «غادرت الحوية» وجوههم وحل محلها حالات سوداء تحت عيونهم.

وبوما بعد يوم بدأ الهزال يغلب عليهم. منذ عدة أيام، شهدت ساحتى حدثاً جليلاً .. فعندما وصلت عقارب الساعة إلى الحادية عشرة مساءً، فوجئت برجال الشرطة .. جنود وضباط يتزلون من سياراتهم الكبيرة التى يسمونها «بوكس»، وينتشرون في أرجائى، يسوقون عدداً من روادى يختارونهم اختياراً. وعندما هم المعلم محاولاً أن يستنكر ما حدث حتى لاتضيع هيئته وسطوته أمام زبائنه وعماله، لكن الضابط الشاب كان حاسماً، قوى الشخصية؛ فقد توجه رأساً غير عابىء بصيحات المعلم: «فيه أيه بابيه؟ دى قهوة محترمة!! اتجه نحو المكتب الصغير الذى يجلس عليه المعلم ليفتشه .. ليجد بقايا مخدرات من كل نوع: حشيش .. أفيون .. هروين .. أقراص مخدرة .. الخ.

لقد كان هذا الشيطان يتصاعد مع الزبائن الجدد، خطوة خطوة، بادئاً بالسجائر المحشوة بالحشيش.

ليتكم شاهدتم المعلم صاحب السطوة والسلطان .. ليتكم شاهدتموه في هذا الموقف. لقد اصفر وجهه، وزاغت عيناه، وعلت جبهته قطرات العرق، وربها حدثت أشياء أخرى، أخجل من ذكرها .. اقتاده الضابط إلى سيارة الشرطة، ومعه مجموعة من روادى.

كانوا جميعاً يتناولون أنواعاً مختلفة من المخدرات .. خرجوا وقد أرهقت وجوههم ذلة، وبدت عليهم درجات التخدير التى وصل إليها كل منهم .. بدت عليهم ملامح سوء المصير .. ولا أعرف لماذا كان حزنى شديداً على الشباب الخمسة الذين أدخلوا

سيارة الشرطة وقد أطفروا الرؤوس . . تلك الرؤوس التي بدت وكأن عليها الطير.
ترى إلى أى مصير هم ذاهبون؟ كيف سيكون موقفهم في مواجهة آبائهم؟
وأمهاتهم؟ وأشقائهم؟ وجيرانهم؟ وزملائهم؟ . . كيف سيبررون موقفهم هذا؟
الآن . . وبعد أن أمرت الشرطة بإغلاق أبوابى . . لأنيس ولاجليس .
إنى أختنق لو توقفت عن أداء دورى في الحياة . . ودورى ليس بالطبع كما كان
يقوم به المعلم الذى يملكنى . . ليس دورى هو إدارة موائد القهار، وتناول المخدرات،
وإضاعة الوقت في غير مايجدى . .

إن للمقاهى دوراً ثقافياً هاماً كان أبناء الجيل الماضى يحسن استشاره . .
أذكر قبل سنوات تزيد عن الثلاثين . . كنت منتدى للفكر والمفكرين . .
ومقصدا للمثقفين والفنانين . . كانوا يتواعدون باللقاء عندى ويتبادلون المعرفة في
ساحتى .

كنت أحب الظرفاء منهم عندما كانوا يتبارون شعراً ونثراً يتناولون الشاي الأخضر
والأحر . . القهوة والسحلب . . والقرفة والجوزبيل . . العناب والينسون . . الحلبة . .
والخروب . . حتى هذه المشروبات المفيدة قد اختفت ليحل محلها الشيعة التى تدس
فيها المخدرات . . تذاكر الهيروين، الكوكايين، والأقراص المخدرة، وكثير من تلك
السموم التى تنخر في عظام الشباب . .

إن لى شقيقة . . مقهى مثلى كان يذهب اليها عشاق الفن الرفيع . . مقهى سمي
باسم هرم الفن العربى «أم كلثوم» كانوا يذهبون اليها يطلبون ما يعشقون من أغان
تحمل معانى سامية، وموسيقى راقية، وصوت تهتز له القلوب . .

إن هناك مقهى تاريخياً آخر . . كان يجتمع فيه قمة الكتاب والأدباء والمفكرين . .
يتجادبون أطراف الحديث في فنونهم . . يخرج كل منهم وقد أضاف لمعرفته جديداً

أما الآن: فإن المقهى قد تحول لمكان يضيع فيه الوقت . . ليس ذلك فحسب بل
تضيع فيه الأخلاق . . الصحة . . الأموال . . من هنا . . فأنا حزين . . فقد بدل بنو
البشر دورى . . عبثوا في فاهانونى . . وها أنا الآن ونتيجة حماقة وجشع وانحراف
صاحبى، هذا المعلم الجاهل . . حبس ظلام دامس، وشمع أحر وضع على بابى
معلنا إغلاقى .

سمعت أن لى أشقاء متخصصين .
مقهى المعاشات: يجلس فيه مجموعة من البشر ممن تعدت أعمارهم الستين ،
يجترون الذكريات ، ويقضون أوقاتهم فى سمر رصين .
وسمعت أيضاً أن أحد المقاهى روادها من الصم . . الإشارة هى حديثهم . .
لابد أن هذا المقهى الشقيق ، هو أكثرنا متعة ، فلا هو يشقى بسماعه نعمة البشر
ولاسخافاتهم ، ولا إزعاج أصواتهم .
لازلت أحلم بأن أعود لأداء دورى فى الحياة . . دور ينفع الناس ، ولا يؤلم
مشاعرى .
أحلم أن يشتربنى رجل مثقف فأكون متددى للمتقفين ؛ يجتمع حولى بشر من
نوع غير روادى السابقين . .
لست متأكداً من حدوث ذلك لكننى لا أمل الأحلام ، فنحن - الجهاد - نؤمن أن
الأعمال العظيمة تبدأ بأحلام عظيمة .



يوميات فيديو



يخطف الإنسان عندما يتصور أن الجهاد لا يشعر بالإرهاق من كثرة العمل . . فعل
الرغم من تقدم العلوم و «التكنولوجيا» ، واختلاف المواد التي خلق منها الله المخلوقات
المختلفة . . على الرغم من كل ذلك وغيره يظل . . الإرهاق . . صفة كونية تصيب كل
المخلوقات ، وإن اختلفت المسميات والتفاصيل .

إن الإرهاق عندما يصيب الإنسان ، ويحمل العلاج ، فإن الأمراض سريعا ما تجد
طريقا سهلا لجسده ، ونفسيته ، وتكون النتيجة الحتمية هي الشيخوخة اللعينة ، التي
تذهب بالنضارة والحيوية .

وهكذا . . نحن الجهاد . . إن الإرهاق يجعل بنهائنا . . وربما أسرع من
الإنسان . . إن علاجنا يرتبط بعنصرين نادرين هذه الأيام - وهما للأسف يملكهما
الإنسان الذي يمتلكنا ويتحكم في مصائرنا نحن معشر الجهاد - إنها . . الوعي
والرحمة .

آه . . إنني أشعر بالمرارة الشديدة . . قلبي يقطر المأ . . قطرات الزيت والشحيم
تنساب من عيوني ؛ لكثرة ما أعاني من صانع الحضارة وأدواتها . . من الإنسان . .
ليتني أستطيع أن أصرخ عاليا . . ليتني يفهم لغتي . . «زنجرة» . . تروسي وسيوري . .
وأجهزة المقاومة بأحشائي . . والتي كثيرا ما تعبر عن احتجاجها بالتوقف عن العمل . .
وعبثا حاولت أن يفهم الإنسان معنى إضرابي عن العمل لعدة أيام ، وهو ما يسبب له
من ثورة ، يظل خلالها يلعن اليوم الذي اشتتراني فيه ، ويهدد بتكسير رأسي ، أو
التخلص مني بالبيع بأبخس الأثمان . . كل ذلك بسبب إضرابي ، واحتجاجي على
سوء معاملته لي .

لعلكم تعلمون أني أداة ناقلة . . يوضع في فمي علب مستطيلة تسمى
«شرائط» ، ولكم أعاني من هذه الشرائط !!! ليس فقط بسبب الأثرية التي تأتي بها
من الرفوف المكشوفة في المحلات التي تزجرها ، أو تبيعها ، لتصب على رأسي هذا الكم
من الغبار ، وليس سبب حزني أيضا تهالك مادة هذه الأشرطة التي تجري على رؤوس

أشقاى لاهة فى ذهاب، وأباب، وإيقاف، وتشغيل . . إن حزنى الحقيقى يأتى من تلك المواد التى تحملها والنس سجلت عليها من شقيقنا الأكبر (توماتيك).

منذ أسبوع . . أحضر رب الأسرة التى أعمل بها مجموعة من الأشرطة . . خمس شرائط، كلها تنفق فى الشكل الخارجى، لكن المضمون شىء آخر . . وما إن دخل صاحبنا البيت، حتى هجم على «كيس» الأشرطة - الذى يحمله - معظم من فى البيت تقريبا . . الزوجة . . وثلاث بنات، أعمارهن تتراوح ما بين ١٤ - ٢٠ عاما، وطفل لم يتجاوز العاشرة، وبقي خارج البيت من أفراد الأسرة الابن الأكبر الذى تجاوز سن الرشد بشهور قليلة . . أخذ الجميع يصيحون فى سعادة، وهم يتساءلون عن أساء مواد الشرائط.

الأم: تحب الأفلام الهندية الطويلة الرومانسية . . تحب أغانيها، وموسيقاها ومناظرها الخلابة، وتنزل طوال وقت مشاهدة الأفلام فى بطلاتها الجميلات . . شعورهن الطويلة، وخصورهن النحيلة، وعيونهن التى تشبه عيون البقر الذى يحرمون لحمه . . ومناطق أخرى أخجل من ذكرها . . الزوجة دائمة السؤال عن جمال نساء الأفلام الهندية.

لقد رأيت الهنديات عندما كنا نعمل فى إحدى دول الخليج . . لاتوجد أى منهن بجمال نجات الأفلام الهندية اللاتى يرقصن كالفرشات.

أما الزوج: فهو مغرم «صبابا» بأفلام فريد الأطرش القديمة، وكذلك أفلام لى مراد . . معجب بشكل خاص بالاستعراضات التى تضمها هذه الأفلام . . مئات الراقصات . . وكثيرا ما تنشب المعارك بينه وبين زوجته اذا حاول المسكين أن يعبر عن إعجابه بهذا القوام الجميل . . أو ذلك الخصر النحيل . . الخ . . تقوم القيامة إن هو حاول أن يتحدث عن موقع الجمال فى أى امرأة . . وكم فى المرأة من مواقع!! وكم فيها أيضا من فواجع!! نسأل الله السلامة.

ونأتى إلى الفتيات الثلاثة: مروة: تعشق أفلام، وأغانى عبدالحليم حافظ. وأميرة: تحب أغانى الشباب الراقصة . . أما حنان: فهى أسيرة لأى فيلم بطلته سباح أنور، أو مديحة كامل . . «وياريت . . ياريت» يكون البطل سمير صبرى.

أما الابن الصغير أحمد: فهو يهوى أفلام إسمايل ياسين.

ويبقى الابن الأكبر نبيل ، الغائب الآن فهو يهوى أفلام الخيال العلمي ، وأغاني مايكل جاكسون . . هذه تجربتي مع مزاج الأسرة التي أعمل بها ، والتي يتصارع أفرادها مع والدهم ؛ من أجل حصول كل منهم على شريطه المفضل . . وكم عانيت من معارك كثيرة بين أفراد هذه الأسرة من أجل الاستئثار بي وتشغيلي . . وكذلك زميلي البائس المسمى «تليفزيون» الذي ما إن رأى تكالب الأسرة على الشرائط التي يحملها الأب حتى شعر كما شعرت بإجباط شديد؛ فنحن الاثنان نعانى من إرهاق شديد لعملنا شبه المتواصل لإرضاء أذواق غير متوافقة . .

ولعلني أحسن حالا من صديقي التلفزيون . . في الأوقات القليلة التي تغضب فيها الأم فترفض شراء مزيد من هذه الشرائط اللعينة . . أو عندما تصبح كل الشرائط قد سبق مشاهدتها ، وكذلك - نادراً - عندما يقدم التلفزيون مادة جديدة ، أو حفلا ، على الهواء ، أو مباراة كرة قدم ، وفي بعض الأحيان . . عندما يصمم الأب على ممارسة حقه في مشاهدة نشرة الأخبار . . فباستثناء هذه الأوقات ، فأنا دائم العمل ، وبلا وعى أو رحمة .

لا يزال الأب يقبض على الشرائط ، التي يحملها في حرص على غير العادة . . أخذ يخرج من الكيس الواحد تلو الآخر ، ويفحصه بدقة ، ويتأكد من مادته ، واحتفظ يشريطين داخل الكيس ، حيث وضع عليهما علامة مميزة . . وإن كتب عليهما أسماء أفلام معروفة !!!

وفي الحاح كانت الزوجة ، والأولاد ، يرديون التعرف على مادة الشريطين اللذين احتفظ بهما الأب . . وزادهم فضولا إصرار الأب على التمسك بهما . كان إصرار الأب عنيدا في الاحتفاظ بهذين الشريطين باعتبارهما أمانة من صديق له ؛ لتسليمهما لأحد زملائه في العمل ولا يجوز أن يشاهدوهما .

ومع مزيد من إلحاح الأسرة على مشاهدة الشرائط . . استشاط الأب غضباً . . وجاء قسمه بأن يذهب الجميع الى مخادعهم والنوم الآن . . جاء القسم قاطعاً ؛ فهو من العينة التي اعتاد البشر أن يطلقوها بلا حساب ، رغم ما تنطوى عليه من خطورة ، عندما يتعثر التنفيذ ، وربما احتاج الأمر إلى محلل .

سعدت جداً بهذا الحزم من رب الأسرة ، ولحت زميلي التلفزيون ، يكاد يرقص من الفرح ؛ فهي نحن سوف ننام ليلة واحدة قبل أن تبرز شمس الصباح . . سترتاح هذه الليلة رأسى ، وسيورى ، وتروسى ، وأحشائي كلها .

دخل البنات الثلاث، والابن الأصغر إلى حجراتهم، وسمعتهم يتمتمون بعبارات الاحتجاج المكتومة، كلمات لا أعرف كل معانيها. . «ديكتاتورية». . «ديمقراطية». . حكم القوى على الضعيف. . الخ.

مرت ساعة كاملة: خلدت خلالها لنوم لذيد. . ما أمتع النوم عندما يستولى الإرهاق على أى مخلوق. . يا إلهى. . لقد حل السكون بالمنزل، وإن كنت أسمع بعض آثار ضجيج يصدر من قريب لنا اسمه «راديو كاسيت»، لا أعرف لماذا ظل يردد كلمة واحدة عشرات المرات بإيقاعات صاخبة. . أصل أنا ميال. . ميال. . ميال. . ميال. . هل حدث عطل «بالراديو»؟.

بعد قليل. . فوجئت بالأب يضرب بيده على باب الغرفة المجاورة قائلاً فى غضب: «نامى يابنت أنت وهى، وطى صوت الكاسيت عايزين ننام».

لم أسمع أى رد من حجرة البنات، اللهم صوت واحد من مطربى هذا الزمان، بعض الكلمات الغريبة جداً، لم أستطع أن أفهم أى معنى لها «أيه الأساتوك ده. . الى ماشى يتوك ده. . ايه ورد الجنانين ده. . كلمنى كلم».

تساءلت فى نفسى: كيف يسمح بنو البشر بدخول هذه الكلمات، والأغاني الهابطة إلى بيوتهم لتفسد ذوق الشباب وتدعو إلى الخلاعة وقلة الذوق؟ أقسمت فى نفسى: أنه إذا ما جاءنى شريط، يحمل أغنية مثل «الأساتوك ده»، أو تلك التى أسمعها كل يوم تقريباً «سلملى بقى ع الترمای» فسوف أضرب عن العمل، وأتوقف عن البث، وليحدث ما يحدث.

بينما أنا فى تأملاتى هذه، أستمتع بالاسترخاء اللذيد، وإذا بيد تمتد، وتحملنى بسرعة، وحذر، وتمضى بى إلى غرفة نوم الزوجين. . إنه رب الأسرة. .

أخذ يوصل بينى وبين زميل جديد. . إنه تليفزيون غرفة النوم، وبدأ التليف بعد أن وضع أحد الشريطين اللذين ادعى أنها أمانة سيوصلها لأحد زملائه. .

وظهرت الصورة. . ليتها ما ظهرت. . لعلكم تتساءلون: ماذا ظهر؟ إنى أشعر بالخجل. . نعم بالخجل. . إن الجهاد يشعر بالخجل من كثير من تصرفات الإنسان وسلوكه. . ولكن ماذا بيديه أن يفعل. . سأقولها. . إنها شرائط تحمل مناظر، وأصواتاً خليعة لأناس لا يستحون. . لا أستطيع النطق بها يفعلون.

لقد ظل المجون، والجنون، والسفور، وقلة الحياء، فوق ما أحتمل، أو يحتمل شريكى التلفزيون الذى حاول الاعتراض من لحظة لأخرى بإضاءة الألوان تارة واهتزاز الصورة بعنف تارة أخرى، فراحت هذه البذاءات تمر بسرعة لعل صاحبنا يحجل. دون جدوى.. وبعد أن يئس الرجل من استقرار الصورة.. راح يسب ويلعن، ويتوعد بتحطيم هذا التلفزيون المهذب، وبيعه بأبخس الأثمان.. أنها عادة البشر، عندما يعترض الجهاد.. مجرد اعتراض على سلوك أحدهم.. هذا الاعتراض الذى يتمثل فى توقفنا عن العمل لبعض الوقت، فى سبيل أن يشعر البشر بأهميتنا أو لتصحيح موقفه منا، ولكنه يزيد من صلفه وقسوته ويظل يسب ويتوعد.

فوجئت بالرجل يفصل بينى وبين زميلى التلفزيون المهذب، وينزع السلك الذى يوصل بين نبضينا، ليحضر زميلاً آخر، أكبر سناً من الزميل الذى اعترض واهتز كيانه.. وبدأ من جديد، يولف بينى وبينه وهو لا يعترض؛ فعلى ما يبدو أن خبرته الكبيرة جعلته لا يبالي، أو لعله أصيب بإحباط مزمن، جعله لا يبالي.

قضى الرجل ساعتين وهو يتابع هذه المهزلة، بينما زوجته تستغيث به طوال الوقت أن يخفف من الصوت، الذى يحمل كثيراً من المجون.. لقد كانت الزوجة المسكينة تموت رعباً كل لحظة وهى تفكر: ماذا سيحدث لو أن ابنها الأكبر عاد من الخارج، وسمع ما تسمعه، أو أن الصوت قد تسرب إلى غرفة البنات، أو دفعهم الفضول للتصنّت؟. رغم الكثير من التوسلات لكن الزوج كان فى واد آخر.

اليوم.. هو الخميس.. وهذا اليوم الذى شهد الكارثة.. نعم كارثة، وبكل الأبعاد.. فقد خرج الزوجان، لزيارة عائلية فى مكان بعيد، وتركوا الأبناء.

وانتهز الابن الأكبر الفرصة، وذهب إلى النادى؛ للقاء أصدقائه.. وبقيت فى البيت الفتيات الثلاث.. وأخوهن الأصغر..

تسللت الابنة الكبرى.. تسللت إلى حجرة الوالدين.. ويا لها من مفاجأة!! لكنها ليست سارة على كل حال.

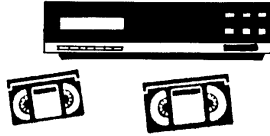
ما إن ضغطت على زر التسجيل الخاص بى.. ما هى الإحظات حتى تسمرت الفتاة فى مكانها، وهى لا تكاد تصدق. أهذه هى الشروط التى ادعى والدها أنها أمانة، أرسلها صديق لزميل له فى العمل؟ أهذه هى الشروط التى رفض الأب أن يشاهدها الأبناء؟ ولماذا شاهدها هو!!؟؟.. وهل كانت الأم تشاركه فى مشاهدتها!!؟

ماما.. هذه السيدة الوقورة المتدينة.. كان الديالوج الداخلى يدور فى أعماق الفتاة،.. يدميها، وينخر فى عظامها، ويحطم أعصابها.. وهى واقفة تشاهد ماتشاهد.. فاعرة فاها.. لا تتحرك.. أخذت تردد فى ذهول عميق: ليه؟ ليه كده يا بابا؟ ليه يا ماما؟ ليه!!!؟

أفاقت الفتاة على مفاجأة أكثر إيلا.. وجدت خلفها شقيقتها، وهما تشاهدان ما تشاهد، وإن اختلفت المشاعر، وردود الفعل.

أما الشقيق الأصغر الذى وقف يشاهد هو الآخر، فقد أخذه الفضول بالكامل.. هميت الفتاة بإغلاق التلفزيون بسرعة، لكن شقيقها تشبس بها، قائلا: أرجوك خليه شوية.. صفعته صفعة تحمل كل مرارة الموقف.. ثم انتابها بكاء عنيف.

بكيت.. أقسم لكم أنى بكيت.. زيوتنا وشحومنا ذرفت عيناى.. قلت فى نفسى: لقد فضل الله الإنسان على سائر مخلوقاته.. العقل والإدراك.. أين كل هذا؟ إن الإنسان بما يرتكبه من حماقات يسبب لغيره من أبناء جنسه - وربما لأقربهم إليه - مأسى كذلك التى أحدثها صاحبى الذى أخجل بعد اليوم من خدمتى له.. ليتة يبيعنى.. أو يحطمنى كما يهدد دائما.. فان ذلك - ولاشك - أكرم لى مما أنا فيه.





يوميات
قاعة محكمة



عندما تبتعد المسافة بين الواقع، والخيال، تصبح الحقيقة هي الضحية .
أقول ذلك بمناسبة الأعمال الفنية التي تعرض في وسائل الإعلام المختلفة، والتي
تصورنا نحن «قاعات المحاكم» ففي الأفلام، والمسلسلات، والمسرحيات، وغيرها .
تبدو قاعة المحكمة في صورة رائعة من: حسن التنظيم، وجمال التأثيث، وتكامل
المظهر. . لا توجد نقطة عرق واحدة على جباه الأبطال في هذه الأعمال الفنية، مما يوحي
بأن القاعة مكيفة الهواء، (وآخر تمام).

للأسف، فالواقع يبتعد كثيراً عن الصورة، التي تبدو في هذه الأفلام .
أنا لست واثرة التأثيث، ولا منظمة المقاعد، والمنصات. . ولست أيضاً مكيفة
الهواء. . إن مقاعدى، ومنصاتى، صنعت قبل ربع قرن من الزمان، وهذا يكفى لكى
تتصوروا حالتها، خاصة، إذا أخذ في الاعتبار، حجم الاستعمال ومستواه. . أما
أرضيتى. . فهي مأساة كاملة: ألواح خشبية متراسة، أكل الدهر عليها، وشرب، من
كثرة ما عانى من إهمال. . تزينه حروق السجائر، التي يلقي بها الكثير من البشر، دمن
رحمة، أو لياقة. . لو أردت أن أكمل الوصف لحال لمن يقرأ يومياتى هذه: أن هذا
الوصف ينطبق على أى شئ، ما عدا قاعة المحكمة. . هذه باختصار مشكلة
المكان.

أما من يرتاد المكان من بنى البشر، فذلك شئ آخر. . فإن ما يحدث بداخل
أمر شديد الشبه بالمأسى الإغريقية، بكل ما تمثله من حزن، وألم، وفواجع.

أشعر هذه الأيام بأرق شديد، فلا أكاد أنال قسطاً مناسباً من الراحة: في النهار،
أنشغل بالجلسات، وما أدراك ما الجلسات. . . وفي الليل، عندما أدخلو إلى نفسى
أظل أتعذب عندما أستعيد شريط أحداث الجلسات.

إننى أقرب عن قرب، وباهتمام كبير، كل ما يحدث داخل من أحداث، وأشعر
بغصة كبيرة من نوع من البشر، يسمونهم (محامين) يا إلهى!! كم من هؤلاء الناس، من

يرتكبون خطايا ، ترقى إلى مستوى الجريمة ، كما أن من بينهم من لديه ضمير حى وقلب عامر بالمثل ، والخير.

أحد المحامين من النوع الأول . . الانتهازى . . سمعتهم ينادونه ، وقد سبق اسمه لقب (متر) أقسم أن أفعاله لا ترقى إلى (ستى متر) . . المتر يسمى (وجه رسمى) هو كثير الحضور إلى هنا . . سمعته يوماً يترافع ، فلم أقنع به إنه كما يسميه البشر ، يلعب بالبيضة والحجر ، يعنى بهلوان . . ما أن يأتيه وكيله ، وهو أيضاً من نوعه . . (أراجوز) ، عندما يأتيه وكيله يزبون جديد ، اصطاده بطريقته الخاصة التى يطلق عليها بنو البشر عبارة رديئة : (فهلوة) . . ما إن يجلس الزبون ، أو الضحية مع المتر ، ويشرح مشكلته ، حتى يأخذ المحامى فى تعقيد كل الأمور أمام الزبون ، ويتهم زميله - الذى سبقه فى معالجة القضية - بأنه لا يفقه شيئاً ، وأنه أغرق الزبون ، ويظل يصعد ويصعد فى الأمر ، حتى يظن الزبون أنه ملاق عشاوى لا محالة .

وما أن يصفر وجه المسكين ، وترتعش أوصاله ، حتى يبدأ المحامى فى إلقاء شبكته . . إن لديه حلاً سحرياً . . لا أحد فوق هذه الأرض يستطيع إنقاذه سواه . . إن لديه خطة جهنمية . . لكنها تحتاج إلى جهد كبير مضن . . سيبدله بالطبع من أجل سواد عيون الزبون . . وهكذا : ثم يدفع المسكين . . ويدفع . . وهو يرجو أن يحظى بمزيد من اهتمام ، وعبقرية المحامى المهام .

إن لهذا المحامى طريقة لاغيرها . . نفس (الأسطوانة) . . كثير من البشر يقعون فى براثن هذا المحامى ، الذى يعتمد فى عمله على وسائل خبيثة ، وملتوية ، يصل بعضها إلى حد التزوير الحذر ، وعلى المذكرات التى يقدمها للقضاة ، والتى أعدها محامون موهوبون ، يعملون فى مكتبه كموظفين . . يدفع لهم الفتات ، ويأخذ هو نصيب الأسد ، بل ونصيب الغابة كلها .

الغريب فى الأمر أننى قد شاهدت بنفسى هذا المحامى ، معدوم الضمير ، يلعب على الجبلين . . أى والله . . موكله وخصمه . . ففى إحدى الجلسات لم يكن موكله حاضراً ، بينما كان الخصم متواجداً يتابع الجلسة . . وقبل أن ينادى على القضية جلس المحامى بجوار خصم موكله ، وقال له : إيه رأيك يا تمام بيه عايزين نخلص القضية بدون محاكم ، ووجع دماغ . . ظن الرجل أن المحامى مخلص فى عرضه .

فقال له : قوى قوى . . هو أنا عايز مشاكل ، إيدى على كتفك . . لمعت عينا

المحامى وقال: إذن سأطلب من أحد المحامين في مكتبى ، يطلب التأجيل ، حتى نتفاهم .. قبل الرجل على الفور. .

علمت بعد ذلك، أن هذا الحبيث قد أقنع الرجل ، بأن قضيته خسارة مائة في المائة ، كما استطاع إقناع موكله بنفس الشيء ، وأوهم كلا منهما بأن ما يستطيع أن يحصل عليه لكل منهما، فهو مكسب .. واستطاع أن يحصل من كل منهما أيضاً على أتعاب كبيرة باعتباره قد أحضر «الديب من ديله» كما يقولون .

ليس ذلك فقط ، بل إنه قد تعافد مع (تَمَام) بيه ، على أن يكون مستشاره القانونى، ففى شريعته «الغاية تبرر الوسيلة»، وأهو كله مكسب .. وطالما أن الزبائن يتبعون الطعم، الذى لا يغيره، فهو مضمون دائماً .. طعم تضخيم المشكلة، واللعب على وتر ثقة الناس، وحسن نيتهم، فلا مانع من العمل بنظرية (رزق الهبل على المجانين) وهو طبعاً ليس مجنوناً بل «رجل شاطر» والشطارة مش عيب ..

وفى الوقت الذى رصدت فيه هذا المحامى الأفاق، فإن هناك محامياً آخر تابعته، وعاصرت أحداثاً هامة أسجلها لله وللتاريخ : فى أحد الأيام حضر أحد ساسة القضايا .. نعم سمسار ، فالشر لا يملون من إخضاع كل شيء فى حياتهم للسمسة ، ويجدون لها مئات التبريرات .. لقد تعامل السمسار «عطوة الفهلوى» مع معظم المحامين ، المترددين على الجلسات إلا هذا المحامى .. منير شحاته .. لماذا لا يجرب الفهلوى اختراق هذا الرجل أيضاً؟.

سمعته يقول له بصوت مرتعش : .

(عندى زبون كويس يامتر عنده قضية سقع) .. قال له المحامى المحترم :

يابنى أنت عارف أنى لا آخذ قضايا بهذا الشكل ..

ظل يتوسل إليه، أن يقابل المعلم غريب ، ولن يندم .. وافق على مضض، وقابل المعلم ، ولكن بدون حماس .. قال :

خير يا معلم .. القضية إيه بالضبط .

مخدرات يأستاذ .

مخدرات!! ياساتر يارب . مين المتهم ؟ .

واد من صيباني، اسمه جلال .. لسه غشيم .. اتمسك بشوية بودرة .. كام تذكرة كده ع الماشي .. قال المحامي :

اسمع يا معلم .. «أنت عارف أن المحامي زى الدكتور .. والمتهم زى المريض .. علشان كده، لازم المريض يكون صريحاً مع الطبيب، علشان يشخص المرض مظبوط، ويكتبه العلاج المناسب» .. رد المعلم :

(عداك العيب يا أستاذ .. بصراحة أنا خايف ان الواد يجيب رجل في القضية دى وكلك نظر) .

-(يعنى سيادتك بقى تاجر مخدرات)؟ .

وقبل أن يكمل المحامي كلمته، كان المعلم قد دس يده في جيبه وأخرج لفافة، بها كمية كبيرة من النقود - لم أستطع اكتشاف عددها - ومد يده يناولها للمحامي، الذى أشاح بها بعيداً عنه، وقال في غضب كبير:

«خلى فلوسك في جيبك ياراجل أنت، واغرب عن وجهي، قبل ما أوديك في داهية .. أنتم ناس معندكمش ضمير، بتقتلوا ولادنا وشبابنا بالسوموم والبلاوى الى بتبيعوها لهم .. والله أنتم لازم تتحرقوا حرق ..» ثم نظر المحامي إلى السمسار عطوة قائلاً:

(أنا بتاع القضايا دى يا يعطوة - على كل حال لك معايا حساب) .

خرج المعلم غريب وهو يتمتم :

(والله لأجيب للواد جلال سيد سيدك يا محامى يا ..) .

هذان النموذجان شاهدتها بعيني رأسى .. محاميان: أحدهما لا ضمير له ولا مبدأ .. والثانى لا يخشى في الله لومة لائم .. وقد يقول قائل :

إن البشر فيهم الصالح، وفيهم الطالح .. وهنا، أقول :

نعم، ولكن البشر الذين يعملون في ميدان تحقيق العدالة ، لا بد وأن تتوفر لديهم مواصفات خاصة .. لا بد من اختيارهم من صفوف المجتمع ، لا يفرضهم على المجال النبيل مجموعهم، ولجان التنسيق وغيرها كما يحدث هذه الأيام .

منذ أيام كان (الرول) مزدهماً بالقضايا .. جلست هيئة المحكمة منذ العاشرة صباحاً وحتى الخامسة .. كان هذا اليوم: يوم النطق بالحكم في العديد من القضايا

بعد أن أخذت مراحل كثيرة في الدفاع ، سواء من النيابة ، أو المحامين . . شهد هذا اليوم تحويل أوراق كثيرة إلى فضيلة المفتى ، الذى يؤيد عادة كل أحكام الإعدام التى تعرض عليه .

ثلاثة شبان . . ذئاب بشرية ، انقضوا على فتاه ، واغتصبوها فى قسوة خسيصة قبل موعد زفافها بثلاثة أيام فقط ، وبينما كانت مع خطيبها فى السيارة ، عاتدين من مشاهدة معارض الأثاث ، لشراء حاجات منزل الزوجية الجديد .

وقف المتهمون فى القفص ، مطأطئى الرأس ، بينما جلست الفتاة ، وأمها ، فى حالة انهيار شديد . أما الأب المسكين ، فقد بدا زائغ العينين فى ذهول . . الغريب فى الأمر ، أن هؤلاء الذئاب ، انهاروا تماما بعد النطق بالحكم . . وبدأوا فى البكاء .

كانت القضية الثانية على نمط قضايا هذا العصر .

شاب فى مقتبل العمر . أطلق النار على والديه ، فأرداهما قتيلين . . وقف الشاب فى ذهول ، لا تنبى شفتاه بأى كلمة ، حتى بعد النطق بالحكم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة .

ثم : ها هى الزوجة الخائنة . . ارتكبت الرزيلة مع عاطل . . وزاد جنوحها ، فحملت الفأس فى أحد الأيام ، وانقضت به فوق رأس زوجها ، وظلت تضرب فى أنحاء جسده ، حتى بعد أن أسلم الروح . حدث هذا أمام أطفالها الثلاثة .

وكان ختامها حزن . . حزن عميق . . لم أتمالك نفسى ، وأنا أنظر إلى هذه المرأة ، التى وقفت فى منتصف القفص جاحظة العينين فى غير اكتراث . . تمنيت هذه اللحظة أن أطبق عليها ، أو أن يقوم زلزال يتركز كله فى هذا القفص . . لا . . لا هذا قليل جدا .

تصوروا : إن هذه السيدة قد قتلت ، وبمعاونة ابنتها ، زوجها وابنها عندما اكتشف خيانتها مع سائق تاكسى اشترته له من أموال زوجها ، الذى ذاق الهوان ، وهو يعمل فى إحدى الدول الشقيقة . . يا إلهى !! ، ما هذه القسوة والوحشية والتدننى !! ؟

رفعت الجلسة ، وغادرنى كل من دخلنى . . كنت مرهقة للغاية . . وعندما جاءنى الفراش ، ليمسح عن قاعدتى أعقاب السجائر ، وبعض الأوراق الملقاة . .

لكن: هل يستطيع أن يمسح عن كاهل كل هذه العذابات التي عشتها اليوم، وأنا أتابع أحداث الجلسة المحزنة التي شهدتها؟

لا يزال صوت القاضي يهدر في أذني، وهو يحيل أوراق قاتلة ابنها وزوجها، الى فضيلة المفتي .. قال القاضي :

إنه من المؤسف أن قانون العقوبات لم يتضمن ما هو أكثر من عقوبة الإعدام ؛ لكي أحكم به على هذه المرأة .. لاستطيع النوم، وقد تماثلت أمامي صورة هذه الأم وهي تحمل السكين ، تذبح به فلذة كبدها ، وتقطع أوصاله، وتضعه في كيس، حملته بعد ذلك لتوزع أجزاء جسده، فلذة كبدها، كل جزء في حي من الأحياء؛ حتى يصعب التعرف عليه .. لطفك يارب!! لقد توحش هؤلاء البشر، وزاد طغيانهم وقسوتهم .

أخ يقتل أخاه .. وابن يقتل أباه .. وأم تقتل ابنها، وزوجة تذبح زوجها .. لطفك يارب ..

أب يأتي للمحكمة تبلل قطرات دموعه أرضيتي، وهو يروي للقاضي عقوق ابنه ، بعد أن بلغ من العمر عتياً .. وأن ابنه، وبإلزام من أنه ميسور الحال، لا يتكفل بهذا الأب، الذي جاوز عمره السبعين، وبعد أن أنفق عليه كل ما يملك .. كان الأب يدخر ابنه لشيخوخته .. ما هذا العقوق!!؟ لطفك يارب!!

وهذه السيدة التي طلب محاميها أن تكون الجلسة سرية ، وبعد خروج كل من جلس على مقاعدى - أخذت تروي أسراراً زوجية مخجلة ، ليس لها أى أساس من الصحة .. فقد لقنها محاميها الشرير كلمات جارحة، لتحصل على الطلاق .. لم تستع المرأة وهي تشرح أمام المحامين والقاضي أشياء أخجل من إعادة سردها .. وعندما لم يقتنع القاضي بالتلقين، الذي أخطأت في سرده، رفض الدعوى .. نظر إليها الزوج وقال بحزم : سلوى أنت طالق .. لقد كنت متمسكاً بك من أجل أولادنا .. أما الآن فأنت غير جديرة بأمومتهم .. وترد عليه الزوجة بكل استهتار: «أهم عندك أشبع بيهم».

على بابي كان السبب في انتظارها، إنه العاشق الذي أؤكد أنه سيتخلل عنها في أقرب فرصة.

لم أعد أستطيع الاحتمال . . لم أعد أستطيع احتواء كل هذه المهازل . . سمعتم
منذ أيام، يتحدثون عن عمليات ترميم، وتجديدات، يودون أن يقوموا بها في أجزائي
المختلفة . . ليتهم يفعلون ذلك، فأرتاح بعض الوقت من همومهم، ومشاكلهم،
وصراخهم، وعقوقهم، ووحشيتهم . . ليتهم يبدلون دورى، فيضعون الأقفاص
الحديدية في أرجائي، ويحضرون وحوشاً وحيوانات تسكنها .
فلا شك أن سكانى الجدد سيكونون أكثر رحمة من هؤلاء الذين يطلق عليهم:
« بشر » .



يوميّات ملعب كرة قدم



سبع سنوات مرت حتى الآن على يوم افتتاح الإستاد العملاق الذى انتمى إليه .
لأعرف هل أسميها: سنوات عجاف . . إنها ليست كذلك بالمعنى الدقيق ، فلقد
امتألت بمئات الألوف من المتفرجين ، ومئات أخرى من الرياضيين والأبطال . . هل
أقول أنها سنوات سمان . . هذا أيضا تعبير غير دقيق . . حيث شهدت هذه السنوات
كثيرا من الأحداث والسلوكيات المؤسفة . . على العموم فلنترك التسمية الآن ، ولأستمر
فى تدوين مذكراتى ؛ علنى أستريح مما أصابنى من ألم وإحباط .

ولا زلت أذكر يوم افتتاح الكيان العملاق - الذى أمثل واحد من منشآته - . . لقد
كان افتتاح الاستاد الرياضى حدثا حضاريا هاما جذب الأنظار للمدينة التى أقيم
عليها .

وكذلك فقد جذب الانتباه لمجموعة من المسؤولين أشرفوا على عملية البناء
والتجهيز؛ من اجل أن يخرج هذا الإستاد العملاق بهذه الصورة الرائعة .

كما قلت فأنا جزء من هذا الكيان الكبير، وقد تم تخصيصى كملعب لكرة القدم

أما أشقائى فقد تخصصوا للعبات أخرى كثيرة . . إضافة إلى حمام السباحة ،
ومنشآت أخرى كثيرة رياضية ، وإدارية . . تختلف فى شكلها لكنها تشترك فى خدمة
الإنسان سواء كان يمارس رياضته المفضلة ، أو هو مشجع لهذه اللعبة أو تلك .

لكنى لأحظت ومع مرور الوقت أننى صاحب حظوة - خاصة - بين أشقائى
الملاعب المنتشرة فى الإستاد . . ليس لحجمى الكبير فحسب، ولكن لأهمية اللعبة التى
تتبارى الفرق - على بساطى الأخضر - عليها . . إنها كرة القدم وما أدراك ما كرة القدم .

سبع سنوات مرت الآن ، وأنا أشاهد مئات، ومئات من اللاعبين، والمدربين،
والإداريين داخل البساط الأخضر، وبالقرب من خطوط التماس . . مدرجاتى كم
حملت من الجماهير، عشاق هذه اللعبة ومجاذيها . . لكم اهتز كيانى لذئيرها الذى
لا ينقطع . . لقد تحملت الكثير . . بل الكثير جدا . . حتى فاض الكيل، وتجاوز الصبر
حدوده .

الشهر الماضى . . كان موعد إقامة مباراة بين فريقين : أحدهما يحتل صدارة الدورى، وكان الآخر يحتل المركز الخامس . . لكن فارق النقط لم يكن كبيرا . . ثلاث نقاط فقط . . المباراة هامة لاشك . . قبل أربع ساعات بدأت الجماهير تزحف على الأبواب الخارجية للإستاد.

مجموعة من الشباب فى مقتبل العمر لم تشتت تذاكر للدخول، فقامت بتسليق السور الحديدى الخارجى . . لمحهم جنود الشرطة، فسارعوا لمنعهم ؛ فما كان منهم سوى أن ألقوا بأنفسهم - دون اكتراث - داخل السور، فجرح بعضهم . أما البعض الآخر: فقد وقع خارج السور مصابا أيضا . والفريق الثالث منهم : وقع أيضا، ولكن فى أيدي رجال الشرطة الذين قذفوا بهم فى سيارة كبيرة، أحضروها خصيصاً لمثيرى الشعب .

لاتزال الجماهير تتوافد على الإستاد . . معظمهم يحملون فى أيديهم لفائف وأكياس من كل نوع . . أغلبها بها مأكولات، وزجاجات مياه غازية، وعصائر . . بعد أن اجتازوا البوابات الخارجية، والطريق المؤدى إلى مدرجاتى . . . بدأوا فى الدخول . .

إن مدرجاتى مقسمة إلى درجات مختلفة: مقصورة، ودرجة أولى «أ» ، وأولى «ب»، وثانية، وثالثة . .

كثير من الجمهور . . من هؤلاء الذين يصفونهم بكلمة غريبة (فهالوة) هؤلاء الفهالوة أرادوا تحسين مواقعهم ؛ فحاول البعض منهم القفز من الدرجة الثانية إلى الأولى، ومن الثالثة إلى - الثانية، وهكذا . . وهو ما يحتاج إلى تجاوز سور حديدى جانبى يحرسه جنود الشرطة . . وبالفعل فقد لمح الشرطى أحد هؤلاء الفهالوة وهو يحاول القفز فامسك به، ورده فى عنف يستحقه . . وهكذا تكرر هذا المشهد فى معظم الفواصل بين الدرجات . . كان البعض ينجح، والبعض الآخر يرد على عقبيه، يلحق مرارة الإهانة .

امتلاء مدرجاتى عن آخرها . . وبدأت عقارب الساعة تقترب من ساعة الصفر . . وقبل البداية بربع ساعة بدأت الجماهير تزأر، وتشجع خاصة عندما بدأ أفراد الفريقين ينزلون الملعب، لإجراء عملية التسخين . . وقد تصادف أن الفريقين قد خسرا مباراتهما فى الأسبوع الماضى . . وبدت الجماهير غاضبة، يخشى كل من مشجعى

الفريقين - أن تتكرر نتيجة المباراة؛ فيضيع الأمل في الدورى خاصة . وأن الفارق بين الفارقين - صاحبي موقعة اليوم - كما ذكرت - هو ثلاث نقاط فقط .

وبعد انتهاء التسخين عادا لغرفة الملابس، وما هى إلا دقائق حتى خرجا في صفيين، وبينهما ثلاثة رجال يرتدون اللون الأسود: إنهم الحكام... لأعرف لماذا اختاروا هذا اللون بالذات؟ نزل الجميع إلى الملعب الذى اهتز بالتصفيق، والهتاف، حيث اتجه كل فريق لجانب من الجمهور ليحييه بالتناوب مع الفريق الآخر- بينما التزم الحكام منتصف البساط الأخضر، ولا مانع من صور تذكارية حتى ينتهى اللاعبون من تحية جمهورهم.

بعد إجراء القرعة اختار الفريق الفائز نصف الملعب الذى سيبدأ منه المباراة... أخذت الكرة تتناقلها الأقدام والرؤوس والأيدي في حماس منقطع النظير، فكل فريق يسعى للحصول على النقاطين، ومن أجلهما كل شيء يهون...

بعد عشرين دقيقة من الكر، والفر، وضح أن هناك ندبة كبيرة بين اللاعبين، وأن خطط المدربين كانت مدروسة؛ تماما فكل منهما قد درس بعناية إمكانات الفريق الآخر، ونقاط القوة، والضعف فيه... لا توجد أهداف؛ فدفاع الفريقين يقط... يغلق كل الثغرات، وكأنه يحمل يافطة (ممنوع المرور) أوحارسا المرمى لديها حنكة كبيرة، والجمهور في المدرجات في حالة يرثى لها من الانفعال... والقلوب قد بلغت الحناجر... النجيلة الخضراء ترتوى من عرق المخلصين من اللاعبين.

وفجأة يطلق الحكم صفارة قوية... لقد عرقل أحد مدافعى الفريق الأزرق مهاجم الفريق الأصفر... وهو منفرد بالرمى... الحكم يشير إلى نقطة الجزاء، معلنا ركلة جزاء على الفريق الأزرق الذى جرى حارس مرماه في عصبية بالغة ناحية الحكم، وأخذ يجذبه، وقد شاركه الظهير الأيمن في نفس الحركات الاعتراضية، وبعد ثوان قليلة كان الفريق الأزرق كله قد وصل إلى الحكم: البعض يشده من قميصه، والبعض الآخر ينهره، وبعضهم يلوح بيديه في اتجاه المدرجات، وكأنه يستنفر الجمهور، والجمهور لا يحتاج إلى من يستثيره؛ فالثورة تسكن أعصابه ودماءه.

تسع دقائق مرت الآن، ولا يزال الحال على ما هو عليه - الحكم يصصر على رأيه واللاعبون يصرون على الاعتراض، والإداريون يحاولون امتصاص غضبهم.

وفجأة!! يحاول الظهير الأيسر أن يوجه لكمة إلى وجه الحكم، وهو يوجه له

عبارات سباب متدنية . وقبل أن تصل يده إلى وجه الحكم المسكين ، استطاع أحد الإداريين الإمساك به وتطويق يديه ، لكن الحكم لم يرض بذلك ؛ فأخرج كارتا أحمر من جيبه ، ورفع عاليًا ، وأخذ يشير إلى الظهير الأيسر الذي أخذ هو الآخر ، يحاول الهروب من قبضة الإداري ليعتدى على الحكم .

الآن خسر الفريق ضربة الجزاء ، وخروج أحد اللاعبين .
أخذ لاعبو الفريق الأزرق يهددون بالانسحاب ، لكن الحكم لم يعبأ ، وظل واقفا عند نقطة الجزاء ناظرًا إلى ساعته ، بما يعنى أحد أمرين : إنه يحتسب الوقت الضائع ، أو أنه بعد مضي وقت معين سوف ينهى المباراة لصالح الفريق الآخر .

وعندما فقد لاعبو الفريق الأزرق الأمل في تغيير موقف الحكم . . أخذ العقلاء منهم يدفعون زملاءهم بعيدًا عن الحكم ، وكذلك فعل إداريو الفريق . .

وبدأ البساط الأخضر يخلو من الدخلاء ووقف حارس المرمى في مرماه . . وظل مهاجم الفريق الأصفر يعدل الكرة ثم قذفها بقوة داخل المرمى وفي زاوية غير التي وقف فيها الحارس ؛ إمعانًا في إذلاله . . وأصفر اللاعب : الأعلام ارتفعت إلى أعلى ، والأصوات أيضًا . . (صلوا ع النبي) . . (صلوا ع النبي) وعلى الجانب الآخر كان مشجعو الفريق الأزرق يصيحون في غضب شديد . «حكم يا . . .» وبالصدفة فقد كانت هذه الهتافات البذيئة ضد الحكم بالقرب من مذيع التلفزيون ، الذي أخذ يحفف عرقه ، وهو لا يدري ماذا يفعل ؟ . فالمباراة هامة ، وملايين البشر يجلسون أمام شاشات التلفزيون ، بينهم : أنسات ، وسيدات ، وأطفال .

إن هذه الهتافات ضد الحكم أكثرها تهذيًا يخذل حياء هؤلاء . .
استنجد المذيع بمهندس الصوت لخفض الصوت ، لكن المشكلة أن خفض صوت الجمهور يعنى : اختفاء صوت المذيع ، وهو التصرف الوحيد المتاح الذي استخدمه مهندس الصوت - لعدة دقائق .

لقد ألهب الهدف حماس الجمهور وزاد من نبرة التعصب ، خاصة بعد أن أحضر الحارس الهمام الكرة من داخل مرماه ، وقذف بها في مدرجاتي ، وظل يلوح بيديه ولا يزال السباب بأقبح اللفاظ ينطلق تجاه الحكم ، الذي وقف في منتصف الملعب ينتظر وصول الكرة من المدرجات ؛ حتى يبدأ اللعب .

فجأة . . تسلل شابان موتوران من المدرجات واستطاعا الدخول إلى البساط

الأخضر متجهين نحو الحكم - في دائرة المنتصف - وعلى الفور جرى وراءهما رجال الشرطة .

وبدأت المهزلة تتسع حلقاتها : لقد انتهز الكثير من الجمهور المتعصب الفرصة ؛ فنزلوا هم أيضا إلى البساط الأخضر . ومن ناحية أخرى نزل أفراد الشرطة بالهروات ، والعصى ، وآخرون قاموا بعمل كردون حول الحكم ، ومساعديه ، لمنع الاعتداء عليهم . . كان الحكم في حالة ذهول كاملة .

وبعد عدة دقائق ومباحثات مع مراقب المباراة . . أطلق الحكم صفارة طويلة معلنا إلغاء المباراة . . بينما أحاط به رجال الأمن - بمختلف الرتب - وهو خارج من الملعب . . كانت حصيلة اليوم ٢٤ مصابا : خمسة منهم ، وهم يحاولون القفز من السور الخارجى بدون تذاكر ، وثلاثة ، وهم يقفزون السور الحديدي بين المدرجات ، والباقيون أصيبوا في معركة محزنة نشبت بين جمهور الفريقين .

المؤسف حقاً أن إصابات بالغة قد أصيب بها البعض من قطع حجارة كان يحملها بعضهم ، وكأنهم قد جاءوا خصيصاً ، لالاستمتاعوا باللعبة التي يحبوها ؛ بل للدخول في معركة بين بعضهم البعض .

انفضّ المولد . . . وخرج كل من في المدرجات ، والبساط الأخضر بعد أن سيطرت الشرطة على الموقف ، وخلوت لتأملاتي ، فلقد امتلأت مدرجاتي برجاجات فارغة ، كسر معظمها - أثناء تبادل التراشق بين جمهور الفريقين - . . بل وألح قطرات دماء على أحد مدرجاتي من جراء هذا القذف ، وكثيراً من الحجارة متناثرة هنا وهناك ، وكذا قشر البرتقال واليوسفى ، وبقايا المسليات بجميع أنواعها ، وأعقاب السجائر ، وأوراق الصحف ، وغيرها . . منظر غير حضارى على الإطلاق . . حتى بساطي الأخضر لم يسلم من هذه الأشياء سالفة الذكر .

يا إلهي . . ما هذه المخلوقات التي تسمى بشراً . . أهؤلاء هم البشر الذين فضّلهم الله بنعمة العقل ، وبخصائص حرمتنا منها نحن الجهاد؟! ما هذا السلوك الممجى الذي اتبعوه مع الحكم ، الذي جاء ليحكم بينهم؟ وهو رجل معروف بحياده ، وكفاءته ، بل ونزاهته أيضاً ، وهل لو كان قد حكم بضربة الجزاء هذه على الفريق الآخر ، هل كان سيسلم من هذه الأفعال المتدنية؟ . أو . . ؟

الآن عرفت السبب الذي من أجله ارتدى الحكم ومساعدوه اللون الأسود . . من

فوق لتحت. كل ملابسهم سوداء.. هل كان يعرف الحكم ماسيحدث له فارتدى هذه الملابس سلفاً!!؟

تساءلت.. كيف سمح هؤلاء البشر لأنفسهم اجتياحي بهذا الأسلوب الهمجى؟.

إنه الأسلوب نفسه الذى اجتاحت به إحدى الدول دولة جارة لها فاستباحت: أرضها، ومالها، وعرضها.. كل شيء.

يالهمى.. هؤلاء البشر معتادون على هذا السلوك.. سواء كان المعتدى عليه دولة، أو ملعباً، أو حتى بيتاً لواحد من جنسهم؟.. نعم إنهم اعتادوا على ذلك فقد شهدت - وخلال السنوات السبع التى عملت خلالها - كثيراً من هذه الأحداث.. أه لو سمعتم العبارات البذيئة التى كان يطلقها البعض من الجمهور للاعبين عندما يلتحم أحدهم مع لاعب من الفريق الآخر.. أو أن يقع أحدهم مدعياً الإصابة إذا طاشت منه بعض الكرات..

أخذت أتساءل: ترى بماذا سيعاقب هؤلاء اللاعبون الذين أثاروا جمهورهم باعتراضهم، وتسببوا فى الكارثة؟ إيقاف مباراتين... أربع... خمس... خصم مكافأة شهر... كل ذلك فى رأى لا يكتفى... لو كان الردع شديداً لفكر كل متهم مرات، ومرات قبل أن يرتكب حماقة الاعتراض على الحكم، ومحاولة الاعتداء عليه.. ماذا يحدث لو أن لاعبا أو اثنين قد تم شطبهما نهائياً؟ هل ستنتهى كرة القدم من على وجه الأرض؟ ماذا لو شطب ناد لمدة عام ولا يشارك فى مسابقة الدورى أو الكأس عقاباً له على سوء أخلاق لاعبيه وإداريه؟ لو حدث هذا.. هل سنشاهد مثل هذه المهازل التى شهدتها؟

منذ أيام قليلة كانت إحدى المباريات بين فريقين كبيرين.. الأبيض والأحمر.. أحضروا لهما حكماً أجنبياً.. أقسم لكم أن حكم المأساة، التى تحدثت عنها سلفاً، كان أكثر كفاءة منه.

لقد حفلت المباراة الأخيرة بستة أهداف: أربعة للأحمر، واثنين للأبيض. وكان من بين الأهداف ثلاث ضربات جزاء، لم يتجرأ أحد من اللاعبين على الاعتراض ولا التلويح، ولا حتى الاقتراب من الحكم. عندما رفع أحدهم يديه فى شبه اعتراض على

رؤية تماس أعطيت للفريق الآخر، رغم أنها لمست قدم أحد لاعبيه . . عندما رفع اللاعب يديه لأعلى لينبه الحكم . . ذهب إليه الحكم ؛ وحذره في عنف من عدم تكرار ذلك . . ماذا فعل اللاعب . . ؟ اقسم لكم إنه شبك يديه خلف ظهره وانحنى أمام الحكم الخوافة، معذراً في أدب جم . . يا إلهي . . لماذا إذن نحترم الخواجات حتى ولو ظلمونا ونعتدى على أبناء بلدنا، وهم يحكمون بالعدل؟

إن الحجارة التي حملها بعض الموتورين من الجمهور كانت تكفى لتصعيد ثورة الحجارة في الأرض المحتلة، إن هي توفرت بهذا الكم الكبير.

كنت لأزال أفكر في مسألة : احترام الحكم الخوافة وإهانة الحكم المحلى . . وكنت اجتهد في إيجاد مبرر لذلك حتى سمعت واحداً من بنى البشر يفسر ذلك لزميله فيقول له (زامر الحى لا يطرب).

ما أعجب هؤلاء البشر . . ما أقساهم على بعضهم البعض . . وما أكثر جنوحهم في تعاملهم مع أكثر الأشياء تحضراً حولهم . . وهكذا تجدوننى أعانى . . فقد مرت على مباريات ومباريات . . سلبيات ونقائص . . أعيشها كل يوم وأتالم بسببها كل ساعة وأعانى من أجلها كل دقيقة . . كل ذلك وأنا لأملك من أمر نفسى شيئاً . . ولا أملك للبشر تبديلاً . .

لكننى فقط أسجل : إن الرياضة . . حتى الرياضة لم تسلم من حماقة البشر، الذين أدعو الله لهم بالهداية .



يوميات باخرة



منذ الأزل: ونحن جنس البواخر، والسفن، والمراكب، نؤدى للحضارة وللإنسان أجل الخدمات، ونقوم بأعظم الأدوار، الأكثر تأثيراً في مسيرة تقدمه. . ولعل سفينة نبي الله نوح شاهدة على دور هام، وحيوى كان الأجداد من جنسنا يقومون به منذ ذلك الزمن السحيق وحتى اليوم.

لعلكم أدركتم أنني باخسة. . ولكن يبقى أن أضيف. . أن تخصصى هو «السياحة» نعم. أنا باخرة سياحية. . لذلك فقد زينوا كل ركن في جسدى. . وزودونى بكل أدوات، ووسائل الراحة، والرفاهية. . غرف مجهزة بكل أدوات العصر: من ثلاجات، وتلفزيونات، ودائرة فيديو مغلقة، وغيرها، وغيرها. . وهناك أيضاً قاعات الطعام، والديسكو، وهام السياحة.

لقد اختاروا لى واحداً من أكبر وأعرق الأنهار. . نهر تُروى عنه الأساطير عبر التاريخ.

سمعتهم يقولون إن الأجداد من البشر كانوا يقدمون لهذا النهر العظيم كل عام «قرباناً». . هذا القربان هو أجل الفتيات. يقدموها «وفاء» لهذا النهر المعطاء، الذى كان حتى الماضى القريب ملهماً للشعراء، والفنانين.

ولعل رائعة الشاعر على محمود طه، والعبرى عبد الوهاب «النهر الخالد» شاهدة على مكانة هذا النهر لدى شريحة من بنى البشر يتسمون برهافة الحس ورقة الحاشية وتحضر السلوك.

ولكن أناساً آخرين من البشر لهم رأى آخر.

فمنذ أيام، وأثناء إحدى رحلاتى، أراد قائدى، أن يتمتع ركابى بجمال الطبيعة، قرب ضفاف النهر، وفي منطقة رائعة، تميل فيها غصون الأشجار على صفحة المياه، فى عناق رقيق. . أراد قائدى أن يقترب من الضفة اليمنى للنهر، فأدار دفتى ناحيتها، فاستجاب كيانى كله لهذا التوجيه. . وما هى إلا لحظات حتى شاهدت مالا يمكن وصفه. . أو تحمله. . أو السكوت عليه. . لقد جلست بعض النسوة على حافة النهر، وقد انهمكن فى غسل ملابسهن فى مياه النهر، وتفرغت واحدة منهن فى تنظيف الآنية

النحاسية . . وفي جانب هذه اللوحة الرديئة ، وقف طفل صغير يتبول في مياه النهر . . أقسم لكم أن كل هذا رأيته . . لم أره وحدي . . بل رأه معي - وبدهشة لا تخلو من الاستياء - الفوج السياحي ، الذي وقف يتابع من فوق ظهرى هذا الجنوح الإنسانى الغريب .

وعلى بعد لايزيد على ثلاثمائة متر من هذه المهزلة التى سجلتها السطور السابقة . . كانت هناك مهزلة بل مهازل أخرى . . لقد شاهدت حيوانات نافقة ، وقد ألقوا بها فى النهر . . ليس ذلك فحسب بل سيارات قديمة ، وصفائح ، ومخلفات من كل نوع ، قد ألقيت فى هذا النهر المسكين .

لقد سمعت حواراً بين اثنين من السياح ، عندما قال أحدهم للآخر: من أين يشرب هؤلاء القوم؟ رد زميله «من هذا النهر» .

كيف إذن يلقون فيه بكل هذه القاذورات؟! كيف يسمحون لصغارهم بقضاء حاجتهم ، وغسل ملابسهم فى مياهه؟! - رد زميله: بل قل كيف يلقون بهذه الحيوانات النافقة ، والتى تسبب الأمراض الخطيرة . . إنه أمر عجيب .

أخذت أتأمل هذه الأسئلة وأرددها فى نفسى . . ماهذا العبث واللامبالاة . . وما هى إلا لحظات من هذا التساؤل المريع، حتى فوجئت بإحدى الزميلات القادمة من الجانب الآخر من النهر . . ياهول ما أرى . . لقد شاهدت شريطاً من الزيت ، الشحوم ، يخرج من مؤخرة الباخرة ، التى تسير فى الاتجاه المعاكس .

إنه أمر خطير . . خطير للغاية . . ألا يكتفى هؤلاء البشر بإلقاء مخلفاتهم الشخصية ، التى تلوث مياه النهر . . بل يفرغون مخلفات السفن ، والبواخر ، والقوارب أيضاً . . وتساءلت مرة أخرى ما هو مصير الأسماك والأحياء المائية؟ . . لا بد أن الكثير منها قد هلك نتيجة هذا التلوث الشديد ، الذى يحدته البشر ، يؤذون به ليس أنفسهم وأبناء جنسهم فحسب ، بل والأحياء المائية التى أنعم الله بها عليهم .

بعد عدة ساعات : كنا قد تجاوزنا هذه المنطقة ، التى تركزت فيها سلبيات ، لو وزعت على أنهار العالم أجمع لأصابتها بالتلوث .

الآن . . دخلت مسيرتنا إلى منطقة رائعة . . ها هو قرص الشمس ، وقد بدأ رحلة

العودة إلى الأفق البعيد . . لانزال خيوط من أشعتها الرقيقة الساحرة تعانق صفحة الماء . . وهناك على ضفتي النهر يتناثر النخيل، والأشجار، وسط مساحات شاسعة من المزارع، ذات اللون الأخضر بدرجاته المختلفة . . إنها لوحة رائعة من صنع الرحمن .

إن ما زاد هذه المنطقة جمالاً وروعة هو أن يد الإنسان لم تعبت بها . . لم تشوه جمالها الطبيعي . . لم تطلّ لها يد المهندسين، وأصحاب شركات المقاولات، والمستثمرين ليقموا فوقها البنايات الشاهقة . . ولا المنشآت المختلفة، التي تحمل كل أنواع العبث، والتي شاهدتها من قبل في إحدى المناطق .

بالروعة ماأرى!! عناق الطبيعة مع عناصرها ومكوناتها . . لقد زاد هذه اللوحة الريمانية روعة وجمالاً ذلك الهدوء الذي لف المكان، والذي لم يقطعه سوى صوت سيمفونية رائعة، تعزفها الطيور وكأنها تعزف لحناً تودع به الشمس، لحظة رحيلها . . ولتواصل عزفها مرة أخرى عند قدوم القمر، بضوئه المنير، ترفه النجوم بلمعانها الأخاذ .

وفجأة تذهب الطيور إلى أعشاشها، ليسود صوت آخر لا يقل روعة عن صوت سيمفونية الطيور، في وداع الشمس، واستقبال القمر والنجوم . . إنه صوت الصمت . . ما أحلى صوت الصمت!! نعم الصمت . . أكثر من يحس بروعة الصمت، ذلك الذي يعيش في الضوضاء مثل . . وما أكثر ما أعيشها .

وما أن بدأت أفيق من هذا التأمل اللذيذ، حتى بدأت اللوحة الجميلة يتسلل اليها الضوء . . إنه الفجر بسحره المميز . . بضوئه الساحر .

ألمح من بعيد واحدة من جنسنا . . إنها مركب شراعى . . إن مكانه في هذه اللوحة يكمل روعتها . . فروعة الطبيعة تكمن في بساطتها وهذا المركب الشراعى الذى أراه عن بعد، والذي يقف بالقرب منه قارب صغير يجعل للمكان سحراً خاصاً . . لكن - وآه من لكن هذه - حماقة بنى البشر، جعلتنى لا أكمل متعنى بكل ما حولى، من روعة الطبيعة وجمالها .

فبعد ساعة تقريباً من بزوغ ضوء الفجر ومغادرة القمر والنجوم في رحلتها اليومية . . فجأة!! سمعت انفجاراً تحت سطح الماء . . انفجار أفزعنى، كما أفزع

الركاب على ظهرى.. وعندما اقتربت أكثر من موقع الانفجار.. اكتشفت أمراً
جللاً.. كارثة بكل الأبعاد..

إن عدداً من الحمقى، ومعدومي الضمير، من بنى البشر، أرادوا صيد الأسماك
من النهر؛ فوضعوا شحنتات من الديناميت في الماء، وقامو بتفجيرها لتقتل الأسماك،
وتطفوا فوق سطح الماء، فيجمعونها دون أن يتكبدوا أى مشقة.. أما النتيجة..
فلاتعنيهم. تلوث النهر والسماك.. لايم.. كل ما يهمهم هو الرزق الحرام الذي يأتي
بسهولة ودون عناء.

سمعت أن بعضهم يصطاد الأسماك بطريقة توصيل تيار كهربائي بالماء، فيمر
السماك عليه فيصعق.. وهكذا يحصلون على أسماك قد صعقت.. غير عابئين
بأخطار عديدة: للبشر، وللنهر، وللأحياء المائية على حد سواء.

مسكين هذا النهر.. شريان الحياة للبشر.. ومهد حضارتهم.. ينبوع الخير
والنماء لهم.. لماذا إذن يتعاملون معه بهذه القسوة وهذا العبث والجنوح.

بعد كل هذه الهموم والأحزان التي تركت بصماتها على النهر الخالد، كما تركت في
نفسى كثيراً من مشاعر الألم، والأسى، لسلوك بنى البشر تجاه أكثر المخلوقات نفعاً لهم

بعد كل ذلك، رحت أتفرغ لتسجيل بعض مشاكي الشخصية.. وهى تندرج
أيضاً تحت علامة الاستفهام الكبيرة، لسوء معاملة الإنسان مع الأدوات الحضارية التي
تنعكس عليه بالنفع الكبير، والتي خلقت من أجل خدمته:

فقد شهدت إحدى القاعات المخصصة للطعام.. هذا المطعم الكبير يعمل
بطريقة «البوفيه» أى أن أنواعاً كثيرة من الأطعمة توضع على بوفيه كبير، ليختار كل
راكب ما يحلو له من هذه الأنواع.. أكثر من عشرين نوعاً وضعت بأسلوب شيق؛
ليقف ركبى في صف واحد.. ما هذا الذى أراه.. إن أحدهم حمل واحداً من
الأطباق المترصة في بداية البوفيه، وراح يضع فيه كمية كبيرة من كل نوع من أنواع
الأطعمة الكثيرة بالبوفيه، حتى ملء عن آخره، فذهب به إلى مقعده على «المائدة» مع
أفراد عائلته، التى اصطف أفرادها وفعلوا ما يفعل كبيرهم!!..

وضع الطبق على المائدة، وراح يقف في الطابور من جديد؛ ليكمل ملء طبق
آخر بمزيد من أنواع الأطعمة: سمك لين تمر هندي كما يقولون.. لحوم وأسماك

وسلطة، وغيرها كثير. وهكذا فعل باقى أفراد الأسرة؛ فملئت المائدة بالأطباق، وبكميات كبيرة، وبدأ الجميع فى التهام ما فى الأطباق من مأكولات متنوعة. وبعد قليل امتلأت البطون. بل وصلت إلى حد التخمّة، ولا تزال الأطباق مملوءة بكميات كبيرة من المأكولات. إن أحداً من أفراد هذه الأسرة - لم يأكل رغم كل ما أكل - ما يساوى ربع الكمية التى أحضرها من البوفية. ومع ذلك قام كل منهم لإحضار الحلوى، والفواكه وبنفس الكميات الكبيرة التى أحضرها من المأكولات. وعندما هموا لمغادرة مقاعدهم وكان عددهم خمسة أفراد. كان لا يزال على المائدة كميات من الطعام تكفى لأكثر من عشرين شخصاً.

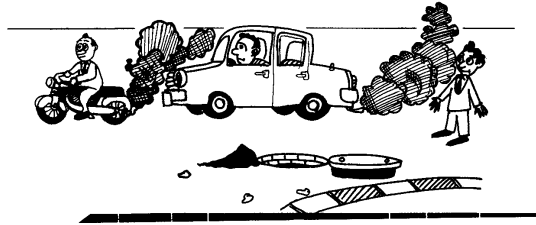
وهنا، تمنيت أن أضرب الموج بمقدمتى. وأن أهتز بعنف؛ فألقى بهؤلاء فى قاع النهر. ما هذا الطمع، وعدم اللياقة!!؟ لماذا لم يأخذ كل منهم من الأطعمة ما يكفى حاجته، وإذا احتاج للمزيد قام؛ فأحضر كمية إضافية؟
إنى ألاحظ أن البشر من بنى (يعرب) هم أكثر من يتحلون بهذه الصفة الذميمة وهذا السلوك الشائن.

إن بشرا غيرهم يحضرون بقدر ما سيأكلون، فلا تكثر بقايا الطعام التى لا يستفاد منها. لأعرف هل هناك علاقة بين هذا الذى يفعله هؤلاء العابثون وبين «الحرمان»، أم هو سوء سلوك طبع عليه هؤلاء!!؟

ها هو الشاطئ يقترب. إنى مرهقة وأتوق للراحة. إن إرهابى وسأى ليس من طول رحلتى. ولكن من تلك الخطايا، والسلبيات، التى يرتكبها الإنسان مع أكثر الأشياء خدمة له. هذا الإنسان ما أكفره.



يوميات شارع



لأعرف من بنى جنسى من الجهاد، من يحمل ما أحمل، من الزحام والتزاحم..
من الحيوية والتناقض.. فوق ساحتى تجتمع كل المخلوقات.. بشر.. جناد..
حيوان.. نبات.. كائنات لانهى، ولا تعد.. الغريب حقاً أن معظم المخلوقات
التي تجتمع فوقى مسخرة لخدمة مخلوق واحد «الإنسان».

يا له من تكريم اختص به الخالق جل، وعلا، ذلك المخلوق المدلل!! الآن
أقدم لكم نفسى.. أنا شارع.. طويل عريض.. لكننى أنوء بها أحمل فوقى من
جنوح، وأثام.. وما أشاهده من نقائص، وسلبيات، يأتى معظمها من بنى البشر.

عندما فكرت فى تسجيل خواطرى هذه.. تملكى شعور بالحيرة.. وكان
السؤال.. من أين تكون البداية؟ وبعد قليل، قفزة قضية «الإنسان والنظافة»،
لتحتل موقع الصدارة فى تفكيرى.. فلكنم تساءلت طويلاً.. ولا أزال.. عن سر العداء
الأزلى بين الإنسان، والنظافة.. لقد ظلت علامات الاستفهام تكبر، وتكبر.. وعبثاً
وجدت إجابة شافية.. لقد شغلت هذه القضية كثيراً من عقول الخبراء،
والمختصين.. لقد استحوذت على وقت الكثيرين، وهم يبحثون عن وسائل توقف
عداء الإنسان للنظافة.. أفصد إنسان هذه المنطقة، التى أعيش فيها.. فقد ظل
هؤلاء البشر على موقفهم من معاداة النظافة أجيالاً، بعد أجيال، حتى أصبح ذلك
العداء، يمثل إحدى خصائص هؤلاء البشر، بكل ما يمثله هذا السلوك من معانٍ،
وما يترتب عليه من آثار..

سوف أسجل فى يومياتى بعضاً من الأمثلة، التى تدل على الجنوح الإنسانى :
على أعمدة الكهرباء المنتشرة على صفتى، علقت سلال، خصصت لتلقى
المخلفات..

كتب على تلك السلال عبارات، تدعو للمحافظة على نظافتى، باعتبارى جزءاً
من المدينة الرائعة التى أنتمى إليها.. وبعضها حمل شعاراً يقول «النظافة حضارة»
لكن هذه السلال ظلت تعاني الخواء، والتجاهل.. وكادت تنطق، وتصيح «نحن

هنا» وهي ترى كثيراً من البشر يمرون عليها، دون التفات، ويلقون على بعد خطوات منها، وفوق ساحتى الكثير من الأوراق، وأعقاب السجائر، وفوارغ العصائر، وغيرها وغيرها كثير . .

بل إن بعضهم قد بلغ به الاستهتار، وعدم اللياقة فأخذ يبصق فوق وجهى، فى عدم اكتراث . . وها هو أحدهم، يحمل كيساً مملوءاً بشمار الموز، أخذ يلتهم الواحدة بعد الأخرى فى بلاهة، ويلقى القشر فوقى، وكم من الأطفال، والكبار من سار فوق بقايا هذه الثمار؛ فانزق، وحدث له ما حدث من جروح، وكسور.

الآن وأنا أسجل هذه الخواطر قفزت إلى ذهنى معاناة أخرى . . إنها «التلوث» :

فعل ساحتى تسير المركبات، بكل أنواعها . . سيارات . . دراجات . . عربات كارو . . (باصات) النقل العام . . كل شيء . . وقد يبدو ذلك أمراً عادياً . . لكن الشيء المثير للألم والاستياء حقاً . . هو أن كثيراً من السيارات مصابة بمرض عضال فى محركاتها، وهو الأمر الذى يجعل سحبات الدخان تخرج من ماسورة فى مؤخرتها، وتشتبك فى هذه المأساة أيضاً الدراجات البخارية . . وقد حزنْتُ للغاية عندما قرأت مؤخراً تقريراً طبياً، يؤكد أن عوادم السيارات، والدراجات البخارية، والمصانع، تحمل مادة الرصاص، التى تسبب أمراضاً عديدة، أهمها التخلف العقلى، كما تصيب الإنسان بحالة عصبية .

مع ذلك فهؤلاء البشر لا يبالون بترك السيارات تطلق سحبات الدخان، وينحصر اهتمام الشرطة بمراقبتها خلال أسبوع واحد فى السنة يسمونه «أسبوع المرور»

والتلوث لا يقتصر فقط على الدخان والأتربة وغيرها بل هناك نوع آخر من التلوث لايهتم به بنو البشر، رغم خطره الشديد . . إنه التلوث بالضوضاء . . فهؤلاء البشر يعشقون الضوضاء، فترى سائقى السيارات يطلقون آلات التنبيه بدون مناسبة، خاصة فى ساعات الزحام، إضافة إلى ما أسمعته من صخب من كل الأنواع : باعة جائلين، وميكروفونات، يستخدمها باعة «الروبابيكيا»، وارتفاع أصوات أجهزة الراديو، والكاسيت، وغير ذلك كثير.

أما سلوك البشر المعيب، فحدث ولا حرج عن هؤلاء الشباب الذين ينزفون على النواصى؛ يغارزون الفتيات دون حياء، متناسين أن لهم أعراضاً . . شقيقات،

وأمهات، وغداً، سيكون لهم زوجات. إننى أتساءل فى دهشة: مَنْ مِنْ هؤلاء يقلب أن يغازل أحداً من ذويه؟ إننى أخجل من سلوك هؤلاء البشر.

كثيرة هى علامات الاستفهام، التى لا أجد لها إجابات. . لكنى أكتفى فقط بتسجيلها فى يومياتى هذه: فأنا لا أفهم مثلاً، لماذا يترك المسئولون عن شئون المدينة - التى أمثل فيها شارعاً هاماً ورئيسياً - البعض يتصرف فى كيفية يشاءون؟! فقد أقام أصحاب المحلات التجارية على ضفتى فترينات، اغتالت مساحات كبيرة من رصيفى، المخصص لسير الناس. . فتجد فترينات لبيع شرائط الكاسيت، وأكشاك بيع السجائر، والحلوى. . الخ.

وبالطبع فقد تضاءلت للغاية المساحة التى بقيت من الرصيف، خاصة إذا أخذنا فى الاعتبار السيارات التى صعدت فوق الرصيف. . وإزاء ذلك، يجد الناس أنفسهم مضطرين للسير تحت الرصيف، وتزداد معاناة السائقين لعدم وجود المساحة الكافية للسيارات، وسط زحام يحطم الأعصاب، ويصيب بالضجر. . وبالطبع تعلو أصوات آلات التنبيه، كما تعلو صرخات الاستنكار من السائقين، والسائرين فوقى على السواء.

وفى زاوية منى يقع مقهى، لم يكتف صاحبه بمساحته الكبيرة فاستخدم الرصيف الذى وضع فيه المقاعد، والمناضد، ليساهم هو الآخر فى ازدحام الرصيف، وتضاؤل فرصة السائرين فوقه؛ وليساهم أيضاً بعض الجالسين فى مضايقة المارة من النساء؛ وليضفوا قدراً من التلوث الضوضائى. .

وإذا كان ذلك بعضاً مما يحدث فوق الرصيف، فإن ما يحدث تحته لا يقل سلبية. . فعدد السيارات التى تقف على الجانبين، تسبب اختناقاً كبيراً فوق ساحتى، وعلى الرغم من هذا الاختناق المرير، فهناك من يزيد المشكلة تعقيداً وهم نوع من البشر، اللامبالين الذين يتركون سياراتهم فى صف ثانٍ، إضافى، دون أى اكتراث، غير عابئين بالمخالفات التى يجرها رجال شرطة المرور. . وكثيراً ما يقعون فى مشكلة معقدة، عندما يأتى «الونش»؛ ليسحب تلك السيارات، ليزدق أصحابها عذابات كثيرة لاستلام سياراتهم من إدارة المرور.

لكنى ألتمس لهذه الفئة عذراً؛ فإن إصرار أصحاب القرار من البشر على تكديس المصالح الحكومية، والبنوك، وشركات الطيران، وغيرها من المرافق الهامة فى وسط

المدينة، مع عدم وجود عدد كاف من مواقف السيارات، يجعل ترك السيارات على النحو الذى تحدثت عنه سلفاً أمراً اضطرارياً . . أنا لا أبرر هؤلاء سلوكهم بترك سياراتهم فى وسط ساحتى . . لكنى أوجه لوماً أكبر إلى المسؤولين عن تخطيط أقرانى من الشوارع الرئيسية، وتكديس كل هذا العدد الهائل من النشآت، المرتبطة بمصالح الكثير من الناس فى مكان واحد.

ولأنى شارع طويل . . طويل جداً . . فإن العديد من النماذج البشرية تتنافس فوق ساحتى، وعلى صفتى، وفى زواياى العديدة . . يتنافسون على الجنوح، والسلبية.

وهنا فى الجانب الهادئ فى كيانى . . ألمح مجموعة من الشباب فى سن المراهقة، وقد وضعوا عدداً من الحجارة على شكل عارضة لرمى، وراحوا يقذفون الكرة بين هذا الفريق وذاك، بينما وقف أحدهم يذيع المباراة على طريقة المرحوم الكابتن لطيف، فاختلط صوته بصوت اللاعبين، الذين ينادون على زملائهم طلباً للحصول على الكرة . . ومن وقت لآخر تزداد الأصوات ارتفاعاً وهى تصيح (جون) . .

لا أحد منهم يهتم بمراعاة شعور، وهدهد السكان، فربما كان من بينهم مريض، أو طالب يحتاج للهدوء؛ لاستذكار دروسه أو غير ذلك من الحاجات التى تستلزم الهدوء . .

وإزاء هذه الظاهرة أجد نفسى أطرح سؤالاً: ترى هل العيب فى هؤلاء الشباب الذين يلعبون الكرة غير عابئين بالسكان . . أم العيب فى المسؤولين عن الشباب الذين لا يهتمون بإنشاء المزيد من الأندية، التى تستوعب هؤلاء وغيرهم، يبددون فيها طاقاتهم، ويقضون أوقات فراغهم؟!!

منذ أسبوع . . وبينما الزحام يلفنى من كل جانب . . فوجئت بشاب طويل القامة . . تبدو عليه علامات الصحة، ظل يسير وراء فتاة رائعة الجمال . . تعترف بقدميها فوق وجهى أحياناً ذات إيقاعات جميلة، تبرز قوامها الرشيق، فى دلال، وأنوثة طاغية . . ظل الشاب يتابعها . . ظننتُ أول الأمر أنه معجب بها، وقد كانت حقاً مثيرة للإعجاب . .

اقترب الشاب منها رويداً رويداً، حتى أصبح يسير بجانبها تماماً . . وما هى إلا لحظات حتى انقض فى قسوة على يديها، وفى لمح البصر التقط حقيبة يدها، وراح

يسابق الريح وسط صُراخ الفتاة . . حرامى . . حرامى . وأخذ المارة يصيحون هم أيضاً . . حرامى . . حرامى . . وراح البعض يضيق الحناق على الشاب الذى لم يجد وسيلة للهرب سوى عبورى إلى الضفة الأخرى . . وفجأة!! صدمته سيارة، فارتفع في الهواء، ثم هوى على سطحى ملطخاً بالدماء، التى انهمرت من رأسه بغزارة . . أسرع المارة، يلتفون حوله، لكنه قد أسلم الروح في دقائق معدودة، وقد سقطت شظية الفتاة بالقرب منه بعد أن تساقطت عليها قطرات من دمائه .

حزنت لذلك حزناً شديداً . . فعلى الرغم من أن القتل لص . . نشال . . جبان . . لكنى حزنت . . فالشاب كان جميل المنظر . . مفتول العضلات . . تبدو عليه كل علامات الصحة، والفحولة . . لماذا إذن لجأ إلى هذه الوسيلة الوضيعة لكسب رزقه . . لكنه الجنوح . . جنوح البشر، وانحرافهم .

لقد حزنت أيضاً لتلك الدموع، التى تساقطت على وجنتى الفتاة الجميلة . . فأنا أثائر حينما أرى الجمال وقد كسسته سحابات من الحزن .

لا أعتقد أن من بين المخلوقات، من يعانى من التجاهل ما هو أكثر من إشارات المرور، التى تنتشر في الشوارع . . فكثير من سائقي السيارات لا ينظرون إليها، والبعض الآخر يتجاهلون الضوء الأحمر، ولا يعيئون بالشرطى، الذى يقف بالقرب منها، فنجدهم يمرون أثناء ظهور اللون الأحمر . .

وبعد منتصف الليل يكون التجاهل لتلك الإشارات كاملاً .

أما أكثر ما يصيبني بالغثيان: تلك الفئة الجديدة التى بدأت تنتشر في معظم أشقائى، الشوارع الهامة مثل . . إنها مهنة جديدة إسمها (المنادى) هذا المنادى لا ينادى على شيء . . هو في العادة عاطل، يختار جزءاً هاماً من الشارع، يتظاهر بتنظيم إيقاف السيارات في مساحات، احتجزها لحسابه، يبيعها عادة للسيارات الفاخرة . . العجيب في الأمر، أن هذا المنادى غالباً ما لا يراه صاحب السيارة إلا عندما يبدأ في الانصراف بسيارته، فتراه وقد حضر مسرعاً أمام صاحب السيارة، متظاهراً أنه يساعده في الخروج من مكانه، وتوسيع الطريق أمامه؛ ليدس صاحب السيارة في يديه النقود، التى يكدها في جيبه، والتي تبلغ قدراً، يفوق راتب وزير .

وهناك فئة أخرى: أشعر بدرجة كبيرة من الخلق والاشمئزاز منها: صبية يقفون في منتصفى، وعند إشارات المرور، يقفزون أمام السيارات، يحملون قطعة قماش

قدرة، ودون استئذان ترى أحدهم يسمح في زجاج السيارة الأمامي، وبعد قليل يمد يده لصاحب السيارة طالباً أتعابه . . لتجتمع في جيبه في نهاية اليوم ما يوازي راتب وكيل وزارة.

أما المتسولون فإن حكاياتهم تطول، وتطول . . إنهم فئة من الناس، ينتشرون في العديد من الشوارع . . إن أكثر من عشرة متسولين يعملون في مساحتي الممتدة، وبأشكال، وأساليب مختلفة .

بعضهم يجلس فوق الأرصفة، وقد ربط يده، أو قدمه، أو وضع عصاية على عينيه، بشكل يثير الاستياء قبل العطف، فالكلمة يعلم أن ذلك (المكياج) لا أساس له من الصحة، وأن هذا المتسول في منتهى الصحة، واللياقة الصحية، وإن تخلت عنه اللياقة السلوكية.

وصنف آخر، من النساء، اللاتي يحملن أطفالاً رضعاً، ويجرّرن أطفالاً آخرين، في محاولة رخيصة، ودنيئة، لاستدرا العطف.

ونوع ثالث . . ترى رجلاً مسناً، يقف في منتصف الطريق، يظل يدق على زجاج السيارة، مطلقاً الدعوات، والتوسلات في إصرار، حتى يجيل لصاحب السيارة الذي أغلق نافذتها، أنه سوف يكسر الزجاج، إذا لم يحصل على النقود.

نوع آخر من أنواع التسول، بدأ يزداد أعداد الذين يتبعونه هذه الأيام . . وهؤلاء يحملون وريقات، بها آيات قرآنية، يلقون بها في السيارات ثم يعودون بعد قليل لتحصيل القيمة في إلحاح مرير.

كثيرة هي الوسائل التي يتبعها هؤلاء المتسولون، الذين يجددون باستمرار وسائل خداعهم .

فهذه المرأة تقدم للمارة رويضة طيب، وهي تتوسل لهم أن يساعدها على شراء دواء . . إن ما جمعتها منذ اتباع هذه الوسيلة يكفي لشراء صيدلية بأكملها . .

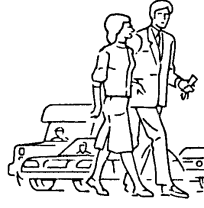
أننى أرى الكثيرين من هؤلاء وقد امتلأت جيوبهم بالأموال، والعجب أنهم يحرمون أنفسهم من هذه الأموال التي حصلوا عليها من ذل السؤال لهذا وذاك . . يرتدون نفس الملابس الرثة، وينامون في أماكن قذرة، وكثيراً ما سمعنا عن ضياع ثروات هؤلاء في ظروف مختلفة .

الآن .. أشعر أنني خففت كثيراً من همومي ، ومتاعبي ، فلحظات البوح تسقط
الكثير من الإحساس بالأسى ، والألم .. فقد سجلت بعضاً من السلبيات التي أعاني
منها .. لكنني أسجل هنا اعتراضاً هاماً .

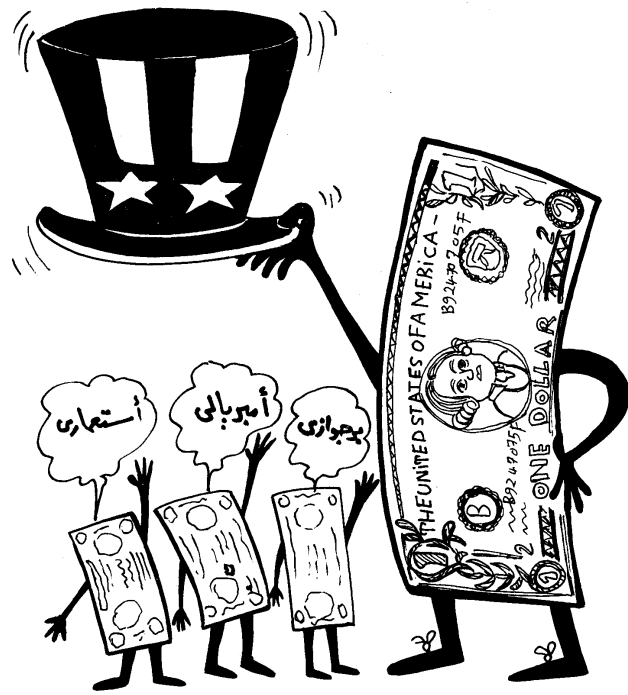
لقد عُرض في إحدى دور السينما ، التي في زاوية منى .. عرض فيلم (اسمه) يثير
حنقي ، واستيائي .. الفيلم هو (أولاد الشوارع) ..

إن الفيلم يصور أولاد الشوارع بأنهم حثالة المجتمع .. أشقياء ، مستهترون .
وكثير من البشر عندما يريدون سب البعض منهم ، يصفونهم بأنهم (أولاد شوارع) ..
ما هذا الظلم والتجني ؟ .

إن العيب ليس في الشوارع بالطبع .. لكن العيب .. كل العيب في البشر
أنفسهم .



يوميـات دولار



لأدري . . هل أنا بحاجة للتعريف بنفسى ؟ . . لأظن أن هناك من بنى البشر من لا يعرفنى أو يعرف أبناء عمومتى . . أما من لا يعرفنا فإن الموت أولى به .

أنا الدولار . . نعم دولار آ آ آر . . على الرغم من أن المادة التى صنعت منها هى الورق الذى غطى بطبقة من الحبر الذى يميل لونه إلى الاخضرار . . وهذه المواد ليست أغلى أنواع المواد . . لكننى صاحب مهابة ومكانة وحظوة لاتجارى بين سائر المخلوقات

إن أهم المخلوقات فوق هذه الأرض ، وأكثرها رقياً وتحضراً يلهث فى دأب ؛ من أجل الحصول على . . يتصارع مع أقرانه من أجل ، ويتسع الصراع ليشمل : الأمم ، والدول . . العائلات ، والأسر . . الأخ ، وأخاه . . الابن وأباه . . وهكذا . .

هل عرفتم من أنا؟ أنا الدولار . . دولار آ آ آر . . من أجل تسير الأغوار، وتُشق عباب البحار، والأنهار، وتُملاء جهنم بالأشجار، ويُفسد فى الأرض كل جبار . . من أجل تكوى وجوه يومئذ بالنار . . لولا رحمة من ربك الغفار . . نعم . . أنا دولار آ آ آر.

موطنى الأصل . . بلاد العم (سام) وما أدراك ما العم (سام) . . وأنا مثل أبناء موطنى من البشر لانتعرف بغير القوة والأقوياء . .

بعض بنى البشر يطلقون على وعلى موطنى عبارات جوفاء لامتعى لها . . . (إمبريالية) . . (برجوازية) . . أنا لا أفهم لغتهم هذه ولا أريد . . فهؤلاء أبناء العم آدم عندما يواجههم الفشل فى الحصول على شىء ما ، فهم يلجأون إلى واحد من اثنين . . إما أن يقللوا من شأنه ، أو يتهمون من يحصل عليه بعبارات غير مفهومة مثل (برجوازية) . . (وإمبريالية) وغيرها . . وهى كلمات كثيراً ماتأتى رياحها من بلدان يسمونها : « الدول النامية » . . « نائمة » ؟ . . لأظن أن الاسم كذلك . . أظنهم

يطلقون عليها : « الدول النامية » . . وهى عبارة جديدة لأفهم لها معنى ولاأريد! على الرغم من أننى لست أكبر أشقائى وأبناء عمومتى سنأ لكننى أعلاهم شأنأ . . فقد

سمعت أن بنى البشر يقيّمون أبناء جنسى من العملات بها تملكه من غطاء أى غطاء . . يقصدون؟ لا أفهم .

إن لى أشقاء وأبناء عم كثيرين جداً . . يصعب حصرهم . . أذكر منهم :
مارك . . فرانك . . جلدر . . ين . . جنيه . . دينار . . درهم . . ريال . . روبل
وغيرها . . ولى أيضاً شقيقات منهن . . ليرة ، وروبية ، وبيزيتا . . وغيرهن . . لعلكم أسأتم
الظن بى من تلك المقدمة الطويلة والتي قد تبدو أنها تنسم بالزهو والاعتزاز بالنفس . .
أظن أن أبناء العم آدم يسمونها : (نرجسية) وإذا كان معنى هذه النرجسية هو
الإعجاب بالذات فدعونى أعترف لكم أنها كذلك . .

إن الجاد لا ينجل من الاعتراف بالحقيقة ، حتى لو لم تكن فى صالحه . . إنه
لا يحاول إخفاءها مثل الإنسان . . الإنسان الذى لا يعترف أبداً بعيوبه ، وإذا اضطرب
لذلك فإنه عادة ما يقول لمحدثه : « أنا أصل عندى عيب واحد . . هو الصراحة !! »
نعم أنا معجب بنفسى . . أليست كل صراعات بنى البشر بكل ما آتاهم الله من عقل
وحكمة وما خصهم به من مشاعر وأفئدة وغيرها من صفات وخصائص حرمت منها . .
أليست كل هذه الصراعات من أجل الحصول على ؟ . . بل إن ذلك الإنسان كلما
حصل على نصيب كبير من أشقائى وأبناء جنسى قال : هل من مزيد؟

بالأمس . . أصغيت إلى الراديو وهو يبث أبناء عجبت لها . . دولة عربية
مسلمة اجتاحت جيوشها دولة عربية أخرى شقيقة . . مسلمة جارة لها . .
يا إلهى ! . . ألهذا الحد بلغ الغدير مداه ؟ قوات الدولة الغازية استحلت الأرض
والعرض . . الممتلكات والمقدسات . . كل شيء . . كل شيء !!
إنه حقاً أمر محزن لم أصدقه فى البداية حتى تكررت الأنباء من كل إذاعات الدنيا
. . إنهم لم يكتفوا بكل ما فعلوا ، بل إن الطامة الكبرى وهى التى تهمنى فى الأمر ،
أنهم أصدروا قراراً أحق بمساواة (الدينار الأكبر) الذى احتلوا وطنه بدينارهم
الأصغر . . ساووا بينها رغم أن الدينار الكبير يزيد فى قيمته ثلاثين مرة عن دينارهم
الهزيل ، نتيجة للحروب ، والحقاقت ، التى اعتادوا على ارتكابها . . نحن الجهاد
نحترم مكانة كل منا ومكانه ، ولا نقبل المساواة فى غير عدل . . تساءلت فى مرارة . .
وماذا فعل الدينار الأكبر فى هذه الكارثة . . أبلغونى أنه ثار وتمرد ورفض الانصياع
للظلم . . وماذا حدث له ؟ . . قالوا : لقد أصدروا واحداً من قراراتهم العشوائية بإلغاء
وجوده فى الحياة بأسرها . . نعم ألعوه .

لم أفهم مايقولونه فنحن الجهاد لانعرف في تاريخنا القريب والبعيد أن كياناً كاملاً يمكن إلغاؤه . . يارب لطفك . . وهنا ألحت على مجموعة من الخواطر والتساؤلات رحت أسجلها في أجندتي اليومية . . هل سمعتم من قبل أن دولاراً قد سطا على دولار؟ أو أن دولاراً سطا - حتى - على جنيه ، أو روبل ؟ هل سمعتم يوماً أن دولاراً أو ماركاً قد اغتصب ليرة ، أو روبية ؟ . . ياله من عار نخجل منه نحن الجهاد ولكن على ما يبدو فإن مثل هؤلاء البشر لا يحجلون . .

استقربى المقام في الخزينة الكبرى بأحد البنوك . . دخلت إلى طقس دافئ حيث ظل ملايين الأشقاء وأبناء العم يتسامرون طوال الوقت . . يتحدث كل منهم عن دوره ، ودورته قبل استقرارهم في هذه الخزينة الدافئة . . كنت أسمعهم يتحدثون عن عجائب بنى البشر . . حكايات وحكايات . . بعضها يبدو مسلياً . . لكنه يحمل مرارة عميقة . . والبعض الآخر يثير . . يثير الغثيان . . بعد قليل . . فتح باب الخزينة الضخمة لأغادرها مع أشقاء كثيرين . . فرحت كثيراً لخروجي من الخزينة . . فعلى الرغم من هذا الطقس الدافئ بكل ما يحمل من دفء وحلاوة ومرارة وحكايات وسم . . إلا إننى لا أحب حياة الخزائن . . الظلمة والكسل يصيباني بالاكئاب . . أنا أحب حياة العمل . . الحركة . . لا أشعر مع العمل بأى إرهاق أو ملل . . أنا نوع من الجهاد قمة السعادة عندي عندما أعمل . . أؤدى دورى فى الحياة . . أساهم فى نموها وتطورها . . حتى لو كانت السعادة التى سأجلبها ستكون من نصيب الإنسان . . فلقد خلقت من أجله ، كما أراد الله تعالى أن يكون كل شئ فى خدمته .

لقد ساهمت أنا وأبناء جنسى فى العديد من المشروعات . . كانت دورتنا سريعة . . . سريعة جداً فى بعض البلدان ، التى يتسم طقس معظمها بالبرودة ، ولا أعرف هل هناك علاقة بين برودة الطقس وسرعة الحركة . . ربما . . هذه البلاد يطلقون عليها لفظ(متقدمة) ولا أعرف لماذا لا يعمل كل بنى البشر من أجل أن تصبح بلادهم متقدمة؟ .

العجيب فى الأمر أن الدول التى يطلقون عليها ، تصنيف العلم الثالث : وهى تسمية لا أرضاها لنفسى ، أو لأى من أبناء جنسى . . صحيح أن لكل منا وزنه ، وقوته ، وتأثيره ، وهى مسألة مرتبطة بها يسميه البشر(الغطاء الذى تملكه كل دولة هى لوغاريتها بشرية لا أفهمها) .

المهم . . أن هذا العالم الثالث . . . وهى دول طقسها حار . . وأيضاً لا أعرف هل

للفقس علاقة بسرعة الحياة وإيقاعها، بل وسرعة دورتنا نحن أيضا. . ربما لا زلت
أنساءل: ما معنى عالم ثالث هل سمعتم يوما عن ليرة ثالثة، أو جنيه ثالث، أو روبية
ثالثة؟

ما أجل عالم الجراد. . إنه يفهم ويقدر. . أن لكل مخلوق دوره. . ويعى المعنى
الجليل ﴿لا يسخر قوم من قوم﴾^(١).

نعود إلى مسألة العالم الثالث هذه. . لا أعرف لماذا يصيبنا الكسل عند زيارة أى
من أقطاره. . . تحدث عن هذه الظاهرة بعض الأشقاء - عندما كنا فى خزنة البنك. . .
فبعضهم له تجارب كثيرة فى هذه البلدان. . . قالوا: إن البشر الذين يعيشون فى هذه
المناطق يضعون قوانين عقيمة ولوائح بالية من شأنها أن تقيد حركتنا وتحرمنا من دورتنا
الطبيعية. . . تعجبت لذلك وتساءلت: ولماذا يفعلون ذلك؟ اليس لديهم الرغبة فى
تقدم بلادهم؟. . . ألا يحبون أوطانهم؟. . . ضحك أحد الأشقاء من فئة الألف دولار. .
وقال: إنهم مصابون بمرض قديم جديد يسمونه: «بيروقراطية». قلت: وما هى هذه
البيروقراطية؟. . . أهى مثل الإميرالية والبرجوازية والديكتاتورية. . ضحك دولار
آخر مثقف قائلا: مالك أنت ومال هذه الكلمات الكبيرة.

أن البيروقراطية شئ مختلف. . إنها كلمة تعنى: التعقيدات المكتبية، أو
الإدارية، ويسمىها البعض من البشر: الانضباط الإدارى، وفريق ثالث يقول: إن
قليلا منها يصلح المعدة - أقصد الإدارة. . . أى أنها: لو استعملت بقدر محسوب
ومناسب، فسوف تنضبط المعاملات دون أن تتعقد.

لا أعرف لماذا يعقد البشر الحياة من حولهم، وخاصة هؤلاء الذين يسكنون (العالم
الثالث). هذا؟

سألت شقيقنا المثقف. . وماذا عن الحل. . العلاج. . المخرج؟
قال بأسى: لقد تركتهم منذ سنوات، وهم يشكلون لجانا، ويصدرون الفتاوى،
والدراسات، ويقدمون الاقتراحات، والتنظيرات، من أجل علاج هذه المشكلة. إنهم
يتحدثون عن علاج جديد اكتشفوه، يسمى الإصلاح الإدارى، والبعض كان يبالغ
فيسميه: الثورة الإدارية، والبعض كتبوا عناوين أخرى وروشتات. . للقضاء على
البيروقراطية. .

(١) الحجرات آية (١١)

ويمضى شقيقى شارحا هذه القصة العجيبة فيقول: عندما عدت اليهم بعد سنوات وجدت هذه البيروقراطية قد كبرت . . زاد وزنها . . وبدت عليها كل علامات الصحة والحيوية . . واكتشفت: أن هذه البيروقراطية اللعينة قد تغذت على الشعارات . . فقد رفعها بنو البشر . . أطلقوها دون أن يعملوا من أجلها .
عدت لتأملاتى بينا شقيقى لايزال يتحدث عن هذا العالم الثالث أو الرابع وعن هذه الدول النامية . . لا . . لا . . أى نامية . . إنها كما نطقناها فى المرة الأولى(دول نامية) نعم نامية .

مسكين هذا الإنسان . . ماذا يفعل بالعقل الذى وهبه الله له؟ . . لماذا لا يستخدم هذا السلاح؟ . . إننى حزين من أجله . . لكنه لا يعرف لغتنا نحن الجهاد . . لو كان يفهم هذه اللغة لقلت له: إننا نحن - الجهاد - مشفقون على هذا الغباء الإنسانى الكبير .

إن ما تتبعه هذه الدول، ليس له أى علاقة بالقانون، والتنظيم . . إن القوانين، واللوائح لا بد وأن يكون لها صفة الثبات . . شبه الثبات لا أن تتغير كل يوم دون مبرر . .

إن التغيير فى النصوص يأتى عندما تتغير الظروف، أو لأسباب قهرية استجدت . .

إننى وأشقائى نتبعد على الفور؛ عندما نحس بأى قدر من عدم الاستقرار، سواء كان أمنيا، أو اقتصاديا . . أو على أى صعيد قد يؤثر سلبا فى طريق حركتنا، وانطلاقنا . . ليتهم يختارون من بينهم رجال أعمال، لهم تجاربهم ليساهموا مع الأكاديميين فى وضع اللوائح، والقوانين التى تنظم أعمال التجارة، والصناعة، والاستثمار، وغيرها من المجالات التى يملك روادها الكثير من أشقائى .

لعل قد أسرفت فى هجومى على أبناء العم آدم . . خاصة من يقطنون منهم دولا تسمى (النامية) إن هناك سببا لهذا الهجوم . . لعل أحدا لا يعرفه . . أننى أميل كثيرا للبشر الذين يسكنون العالم الثالث . . أحبهم . . أحبهم رغم كسلهم، وتواكلهم، وقوانينهم البالية، ولوائحهم العقيمة . . أنهم أناس طيبون . . شاعريون . . يمثلون دفئا وإنسانية . . لا تتعجبوا من كلامى هذا . . فالجهاد أيضا يحس . . لديه مشاعر قد تفوق الكثير من بنى الإنسان .

وحديثى عن اغتيال دولة لدولة جارتها الذى أشرت له سلفا، أكبر دليل على أنى أشعر وأحس.

كثيرة هى الأسئلة التى ألفت على وأنا أتحدث عن هذه الدول النامية أو (النايمة) لا فرق.. كيف يصنف هؤلاء بالعالم الثالث ولديهم كل هذه الثروات الطبيعية والبشرية؟.. تلك الإمكانيات التى قد لا تتوافر لدى الكثير من البلدان المصنفة: (بالمقدمة).. ماذا صنع هؤلاء فى مواجهة اتفاق القوى العظمى وحالة الوفاق التى تعيشها؟ وفى مواجهة الوحدة الاقتصادية للدول الأوربية بعد ستين فقط؟ ماذا.. وماذا.. أسئلة لا تنتهى..

الآن: وبعد أن سجلت كل هذه الحواطر.. هل ترانى قد أخطأت عندما ذكرت: أنهادول؟ (نايمة) وإذا كان الاسم متوافقا مع الواقع.. يبقى السؤال.. متى تصحوا!!





یومیات رادیو کاسیت



كثيرة هي صرخات الألم التي يطلقها من حين لآخر أبناء جنسى من الجهاد . . من كثرة ما يتعرضون من سوء معاملة البشر لهم ، وتجاوزاتهم المستمرة معهم .

أما أنا فلي رأى آخر . . فليس كل البشر شريرين . . ليسوا جميعاً همجيين غير متحضرين . . إن من بينهم علماء ، ومفكرين ، قدموا للبشرية وللحياة عصارة فكرهم وتجاربهم فأثروا الحياة بالفاهية والتقدم .

ومن أجل هؤلاء أقول : إن في آيات الله القول الفصل . . والحكمة البالغة . . وأتذكر هذه الكلمات المقدسة ﴿لَا يَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾^(١) .
وقد يتصور البعض من خلال هذه الكلمات أنني راض تماماً عن سلوك البشر معي . . بالعكس ، فإن الكثير من سلوكياتهم تدعو للحزن والأسى . .

نسيْتُ أن أقول لكم من أنا . . أنا راديو . . أضافوا لي منذ بضع سنوات اسماً جديداً . . وخصائص جديدة . . فأصبح اسمي «راديو كاسيت» .

ومادمننا نتحدث عن العلم والعلماء . . عن الصالحين من بنى البشر . . عن هؤلاء الذين ضحوا براحتهم ، ومتعمهم الذاتية من أجل العلم والتطور .

فلنبداً القصة من البداية : سنبدأ من عند محاولات جدى الأكبر (مذيع) . ففى نهاية القرن الماضى . . قام عدد من كبار العلماء بالعديد من الأبحاث حول الموجات «الكهرومغناطيسية» لقد بدأ الفكرة عالم انجليزى يسمى (ماكسويل) كان ذلك فى

عام ١٨٩٠ إضافة إلى جهود مضمينة ، قام بها رجل آخر يدعى (إدوار برانلى) إلا أن الاسم الأكثر لمعانا ، وشهرة كان من نصيب العبقري (جوليمو ماركونى) حيث تمكن بعد كثير من التجارب من استخدام الموجات «الكهرومغناطيسية» المتداخلة فى كشف

الموجات التى تسمح بمرور التيار الذى يولد من البطارية . وبالتالي تم استخدام هذه الموجات فى نقل الإشارة إلى مسافات ، بعد أن استخدم لهذا الغرض جهازاً يسمى : «ريجى» للذبذبة كجهاز للإرسال .

(١) سورة فاطر آية : ١٨

ومع مرور السنين، وبعد مزيد من الأبحاث، والتجارب، ومع إصرار (ماركوني) على إرسال الأصوات، والموسيقى خلال الهواء .

وعندما جاء عام ١٩١٩، كان قد نجح في إذاعة كلمات منطوقة بين إيرلندا وأمريكا . ومنذ ذلك التاريخ، بدأت (شركة ماركوني) في إرسال الإذاعي . . وسرعان ما انتشرت الإذاعات العامة في العديد من دول العالم .

كانت هذه باختصار شديد ملامح رحلة اختراعى، وهناك الكثير، والكثير جداً من التفاصيل، التي تعكس مدى الجهود الدؤوبة، والخلاقة، التي بذلها بنى البشر .

وإذا ابتعدنا قليلاً عن التفاصيل العلمية أقول: إن ميلاد جدى (مذياع) كان حدثاً له أهميته الكبرى؛ حيث كان الكثيرون من البشر - وقتئذٍ - يلتفون حول جدى خلال ساعات الإرسال القليلة تلفهم الدهشة، والمتعة وهم يتابعون الأحاديث، والأغاني والبرامج، المختلفة . . . والبعض من البشر كان يستنكر وجود جدى مذياع؛ باعتباره رجساً من عمل الشيطان . . . حتى بدأت إذاعة القرآن الكريم، فهدأت ثورة هؤلاء، واستسلموا لنتاج العلم والعلماء .

أما سعداء الحظ، الذين كانت تسمح ظروفهم المادية لاقتناء جدى مذياع . . فقد كانوا عنواناً للثراء والاستقرارية .

ومع تطور الزمن . . كان الآباء والأشقاء من أبناء جنسى من قوافل «الراديوهات» . . . يشملها هي الأخرى نصيب كبير من التطور التكنولوجى حتى وصلنا منذ سنوات إلى عصر الترانزستور .

ومع ظهور الترانزستور . . . شاهدنا العجب؛ فقد أصبح أشقاؤنا «الترانزستور» يقبعون في ساعات اليد، وفي النظارات، وفي علب الكبريت، وغيرها، بل أصبح البعض منهم يعمل بأشعة الليزر . . ولم يقف التطور عند جنسنا فقط . . بل شمل التطوير أيضاً محطات الإذاعة والبيت . . ومحطات التقوية والتقاط . . بل والأقمار الصناعية . . هذه الوسائل التي جعلت البث يلتقط على بعد مئات، بل ألوف، وملايين الكيلو مترات . . وأصبح العالم بأسره يجتمع على ضفاف ساعاتنا .

ومنذ عدة سنوات، أضافوا لى، وكثير من أشقائى، أجزاء جديدة، وشقوا فى جسدى جزءاً على شكل باب، يلقمونه قطعاً بلاستيكية تسمى: (شريط كاسيت)

نسبة إلى شريط ممغنط تسجل عليه مواد يمكن إعادتها في التوقيت الذى يرغبه صاحبه .

على الرغم من أننى أداة التقط الإشارات التى تبثها محطات الإذاعة لتمر عبر جسدى إلى جزء يسمى «ساعة» تنقل الأصوات إلى أذان البشر وفق قانون خاص لأود الخوض في تفصيلاته .

على الرغم من أننى وأبناء جنسى مسلوبو الإرادة إلا أننا نتألم من للعديد من المواد التى تبث من خلالنا . . فمنذ عدة أشهر نستمع إلى نشرات الأخبار، والتعليقات السياسية . . وكلها تدور حول موضوع واحد تقريبا .

صدقونى . . إنه على الرغم من تكرار الأخبار والتعليقات عن هذا الموضوع لكننى لأستطيع استيعاب ما اسمع . . أو بعبارة أصح، مايث عبرى .

الأخبار تقول: إن دولة عربية مسلمة قد اجتاحت قطراً عربياً جاراً لها . . بلداً عربياً مسلماً أيضاً!! لأعرف معنى الاجتياح . . ويقولون أيضاً أن البلد الغازى قد احتل بالقوة الغاشمة أراضى وأموال وممتلكات جارته . . سرقة . . اغتصاباً . . تعدياً . . الخ .

أما التعليقات فمعظمها يدور حول معنى واحد . . «الاستنكار» ومطالب محده تكاد تجمع عليها معظم دول العالم . . الاتسحاب الكامل وغير مشروط . . عودة الشرعية للدولة المقتصة .

أخذت أتساءل: كيف يمكن أن تغتصب دولة شقيقة لها وهذه الوحشية؟ . . كيف يمكن أن يحدث ذلك؟! لم أسمع مثل ذلك لدى سكان الغابات! . . ولم أسمع أيضاً ذلك لدى مخلوقات أخرى . . عالم الحيوان والنبات مثلاً .

ياإلهى ما هذا الذى يبث عبرى . . أخبار مرعبة عن جنون حاكم هذا البلد الغازى . . إنه يهدد باستخدام غازات سامة . . أنه أمر بشع؛ غازات سامة؟! . . يستخدمها . . ضد من؟ . . أخشى أن تكون هذه من علامات يوم القيامة . . إن هذا الحاكم يتسم بالغرور والمناورة . . المراوغة والخداع . . يحتجز الرهائن من العديد من الدول . . نساء وأطفالاً، ياإلهى . . ما هذا العبث الذى يقوم به هذا الرجل الذى فقد

عقله!! والذي يدخل في صدام مع العالم بأسره. مستهتراً بما يسميه البشر «مبادئ القانون الدولي» بل مبادئ السلوك السوى. . . بل لكل المبادئ ومن كل نوع.

لاجد لدى استعداداً في استمرار سرد ما سمعته وهو يبت من خلالي .
لكن أكثر ما أصابني بالاشمئزاز والضيق، هو ما حدث منذ أيام عندما أدار صاحبي مؤثري بعناية فتجاوزت مواقع التشويش، لأستمع بالصدفة لإذاعة بذيئة .
بذيئة للغاية . . فقد كانت إذاعة هذا الرجل الذي فقد عقله . . بعد سماع فاصل من العبارات الهابطة والشتائم البذيئة لكل من يختلفون معه في الرأي، وهم كثيرون .
بدأت سخافات المغالطات التاريخية . . كلام فارغ عن حقوق تاريخية في أراضي جارتها المعتصبة . . تهديدات ووعد . . استعراض مغرور للقوة . . أعقبها فكر مريض عن المساواة بين الأغنياء والفقراء . . كدت أختنق من الكذب والادعاء، ولم تنقذني سوى موجة تشويش ذهبت بهذه الأصوات المبحوحة الجانحة .

لكني لأزال أشعر بالاستياء من صدى ما سمعته من جنوح . . وما هي إلا لحظات حتى ضغطت صاحبي على أحد أزراري فانفتح هذا الباب الموجود في جسدي، ووضع فيه شريط كاسيت . . انسأب صوت لهجته خليجية لكنه مفعم بالحزن والأسى في كلمات انتفض لها جسدي . . (بيتي وبيقول بيته . . .)

ظل المطرب يردد في أسى عبارات تنطق كلها بالأسى على الوطن المحتل . . . وبعد أن دمعت عيناي للموقف . . . للكارثة . . . لم يخرجني من هذه الحالة المساوية التي انعكست على ما يبدو على صاحبي . . لم يخرجني من هذه المشاعر الأليمة غير شريط آخر، وضعه في داخل لينسأب صوت الراحلة العظيمة أم كلثوم . . وهي تشدو برائعتها (الحب كده) وما أن وصلت إلى الجزء الذي تقول فيه (تشوفه يضحك وفي قلبه الأئين والنوح) حتى عادت الأحزان تسيطر على من جديد .

بالأمس أحضر أحد أصدقاء صاحبي مجموعة من شرائط الكاسيت ظل صاحبي يجربها على مدى ساعتين كاملتين . . يضع الشريط ثم يغيره بعد لحظات . . ماهذا الذي اسمعه من مجموعة مطربين يطلقون عليهم «الشباب» . . أى شباب هذا الذي يردد كلمات لأطعم لها ولا معنى!!!!؟ كلمات تحمل كل معاني (الهيافة) وقلة الذوق: (إيه الهس بس ده اللي ماشى يتك ده) . . (أحمد حلمي أتجوز عايده) . . (أنا عايرة أتجوز ميكانيكى) . . وغيرها من معاني الهبوط والابتذال .

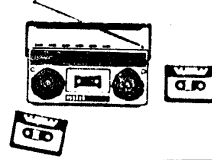
بعد أن استمع صاحبي لأجزاء من هذه الشرائط الهابطة . . قذف بها على الطاولة قائلاً لصديقه: إيه ياراجل الكلام الفاضى ده . . . دا تهريج ولعب عيال . . رد صديقه: (دى ياستاذ أغاني العصر، مش الأغاني المنحطة اللي بتسمعها). على الفور أحضر صاحبي شريطاً وعندما أداره انسأب صوت العبقري عبد الوهاب وهو يشدو برائعته (النهر الخالد) يالها من معانٍ راقية، وموسيقى رائعة، وأداء عظيم .

وهنا تساءلت في نفسي: كيف يسمح مسئولو الرقابة على المصنقات الفنية بمرور ما يسمى بأغاني الشباب هذه بكل ما فيها من إسفاف رخيص يهبط بالذوق العام؟ . . وأصحاب هذه الأغاني يتعمدون الغناء ضمن موسيقى صاخبة، وآلات نحاسية ويرفعون أصوات الفرقة؛ حتى لا يتضح سوء أصواتهم وضحالتها . . يخطون بأقدامهم ويصفقون في هيسيريا، فيتجاوب معهم المراهقون من الشباب في صخب مقيت .

والغريب: أن شرائط هؤلاء الذين يسميهم البعض مطربين يباع منها بمئات الألوف بل إن أحدهم باع شريطه أكثر من مليون نسخة، اتفاقاً بالمبدأ الذي يطلقه أولاد البلد من البشر (رزق الهبل على المجانين).

وفي نهاية يوم مزدحم بالبرامج النافعة، والأغاني الراقية، والموسيقى الرفيعة . . ومن ناحية أخرى كانت الأخبار، والتعليقات السياسية بكل ما تحمل من مرارة وألم . . بعد أن اختفت أخبار وطن محتل منذ أكثر من أربعين عاماً، لتطفو أخبار وطن احتل منذ بضعة أشهر . . ، وبعد إرهاب صخب أغاني ما يسمونهم شباباً، بين هذا وذاك كان (ختامها مسك) . . وهذا المسك كان آيات بينات من آي الذكر الحكيم: كلمات تريح القلب وتنقى النفوس . . على أن أكثر ما أمتنى أن هؤلاء البشر لا يتبعون ما أمرهم الله به حيث قال تعالى ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(١)

صدق الله العظيم



(١) سورة الأعراف آية: ٢٠٤

يوميات باص



منذ ثلاث سنوات كان عيد ميلادى . . يوم أن خرجت من المصنع العملاق الذى جمع أجزائى التى جاءوا بها من عدة دول، تشتهر كل منها بصنع جزء معين . .

ومنذ أن خرجت مع أشقائى من هذا المصنع الكبير، حيث ذهبوا بنا إلى الفندق المخصص لإقامتنا، ويسمى (جراج). منذ ذلك اليوم وأنا أعيش حياة مأساوية بكل الأبعاد . . تفاصيلها مؤلة للغاية . . فكرت اليوم فى أن أسجل بعضاً منها، لعلنى أرتاح من هذا الهم الكبير الذى يثقل كاهلى، ويضغط على أعصابى، ويجعلنى أضيق بهذه الحياة .

منذ اليوم الأول الذى بدأت فيه رحلتى لأداء دورى، سلمونى عهدة إلى أحد الجلادين . . عفواً . . السائقين .

كان الرجل فى البداية سعيداً بى . . شعرت بذلك عندما أخذ يتفحص أجزائى يوم تسلمه لى . . أعترف أنه عاملنى برفق وعناية خلال الأسبوع الأول . . كم كنت سعيداً بالدور الذى أقوم به !! إننى أنقل الآلاف يومياً إلى مقار أعمالهم، ومنازلهم، ولقضاء حوائجهم . . إن طبيعة ركابى من طبقات مقهورة . . رقيقة الحال، ورقيقة الحاشية أيضاً . . إنهم ينتظرون قدومى بلهفة وشغف . . أسمعهم عن بعد ينطقون عبارة تتكرر: (الحمد لله . . وصل).

ولأن دوام الحال من المحال . . فإن هذه السعادة لم تستمر طويلاً . . فالإنسان لم يتعود أن يعيش حالة حب دائم مع الجهاد . . إنها مأساة . . أسبوع واحد عشته فى سعادة . . أسبوع واحد فى ثلاث سنوات متواصلة . . ولنبداً من بعد أسبوع العسل الذى أمضيته وحظيت خلاله باهتمام السائق . . وأيضاً الركاب .

مضى الأسبوع الأول . . وفى صباح أحد الأيام، جاء سائقى ، وقد بدت عليه علامات الضيق، والتزمير . . إنه يتشاءب وعلمت من حوارته مع زميله (المحصل) أنه لم ينم البارحة ؛ لقد ظل طوال الليل مع رفاقه - وهم رفاق سوء حسبها فهمت - يتناولون

المخدرات ، ويتوهمون سعادة زائفة . لقد خرج هذا السائق المستهتر من ليلته الحمراء ،
التي شرح لزميله المحصل ، تفاصيل ، أخجل من ذكرها . ثم جاء مباشرة ليقودنى ،
وهو فى هذه الحالة السيئة ، من قلة النوم ، وعدم التركيز .

أدار محركى ، وانطلق فى عدم اكتراث وهو لا يكاد يقوى على نقل عصا (الفتيس)
مع تأخره فى عملية التبديل بين السرعات ، غير عابى بصراخ محركى ، الذى استمر
معظم ساعات هذا اليوم الحزين ، الذى كبر هذا المحرك المسكين خلاله سنين وسنين

كنت أنظر إلى الركاب المزروعين على المحطات فى انتظار مرير . أنظر إليهم فى
شفقة ، لم يعرفها قلب هذا السائق القاسى . . فقد كان يترك الركاب فى كثير من
المحطات دون أن يوقفنى ، وقد أدار رقبته إلى الجانب الأيسر فى غير اهتمام ، بينما تتعالى
أصوات الاستنكار من الركاب ؛ فبعضهم يريد أن ينزل فى تلك المحطات التى يمر
عليها سائقى دون توقف .

لمحت ابتسامة تشقى تملو شفثيه . . تعجبت جداً لذلك . . هل يتلذذ هذا
الرجل بتعذيب أبناء جنسه ؟ أهذه واحدة من النظريات التى تحدث عنها واحد من بنى
البشر ، أظن أن اسمه (سجيموند فرويد) ؟ هل يسقط هذا السائق القاسى كل آلامه ،
وشعوره بالاضطهاد ، والقهر ، على البؤساء من أبناء جنسه ؟ ياإلهى !!! إن هذا أمر بالغ
العجب والدهشة . . لايزال صاحبنا يتجاهل عشرات البشر ، الواقفين على المحطات ،
فى مواجهة شمس لاهية ، ورطوبة تضيق بها الصدور ، يواجهها هؤلاء المساكين بأوراق
الصحف ، يضعونها نارة فوق رؤسهم وأخرى يستخدمونها مروحة .

ست ساعات كاملة كنت أشاهد فيها هذه المأساة ، بل وأكثر من ذلك . . عشرات
المرات التى تعرضت خلالها لحوادث ؛ نتيجة عدم تركيز السائق ، وتناوبه المستمر ، ولولا
ستر من الله ، ورحمة لضعت أنا ، ومن أحمل من الركاب الأبرياء ، ولحدثت كارثة
محققة .

فى نهاية هذا اليوم عدت إلى الفندق (الجراج) لأروى للأشقاء ما حدث من
سائق ، لا يرمى الله ، ولا آدمية بنى جنسه - فبادرنى شقيقى ، الجار الأيمن قائلاً :
إن ما تقوله وأكثر يحدث معنا يومياً . لكن السؤال : كيف تأخذنا نحن الجهاد -
مشاعر الشفقة ، والرحمة ، تجاه بنى البشر ، بينما هم لا يشعرون بمثل هذه المشاعر تجاه

بعضهم البعض؟ وأردف قائلاً: يا شقيقى . . هون عليك؛ فان هؤلاء البشر يتناسون كثيراً من سمو دينهم .

إن هؤلاء السائقين لو تذكروا المعنى الجليل «من لا يرحم لا يُرحم» آه لو فهموه - لكان وقوفهم على جميع المحطات يطول، حتى يتأكدوا من صعود الركاب ونزولهم، أخذين في الاعتبار: النساء، والأطفال، وكبار السن منهم، ومن لديه مرض أو عاهة، أو غير ذلك .

يوم آخر لا أنساه . . وهو يوم جديد؛ سجل فيه الإنسان واحدة من حماقاته وعيبه .

بطل هذه الواقعة ليس السائق كما يعتقد البعض . . إنه واحد من الركاب .

في أحد المقاعد الخلفية، جلس شاب يحمل جريدة، ويتظاهر أنه يتصفحها . . العجيب . . أن هذا الشاب كان يخفى بالجريدة جريمة بشعة يرتكبها: فقد حمل في يده اليمنى (شفرة) ظل يقطع بها جلد المقعد، منتهزاً فرصة أنه ركب من بداية الخط، وقد خلت كثير من المقاعد . . شق صدر المقعد، وجوانبه، وقام باستخراج أحشائه . . قطعة كبيرة من الإسفنج . . على مقربة منه كان يجلس واحد من أقرانه . . أصبت بدهشة عندما وجدته هو الآخر، يفعل نفس الشيء في مقعد آخر . . أخذ يسأله صديقه قائلاً: (أنت تمام)، فيرد الثانى عليه: (آخر تمام) وقد فهمت من حديثهما بأن هذه الكلمات معناها أن الجريمة قد تمت . دس الشابان قطعتى الإسفنج في حقيبة بلاستيكية، يحملانها، وغيرا مقعديهما، دون أن يراهما أحد؛ فقد كان المحصل منهما كلاً في حديث مع السائق، عن سهرة حمراء سهرها هو الآخر . ظل يقول له كلاماً ويشرح وقائع، ومواقف، لا تستحق سوى الخجل . . كان يصف له: كيف خدع زوجته، وخرج من المنزل، بحجة زيارة أحد زملائه؛ لفض نزاع بينه وبين زوجته، وأنه استطاع - بهذه الحيلة الخبيثة - أن يلتقى بإحدى الساقطات، في منزل أحد الأصدقاء . هذه الواقعة الذى حضرها أكثر من صديق من أصدقاء السوء .

كان السائق في غاية السعادة، وهو يستمع الى مبالغات زميله عن ليلة، كان فيها الفارس الوحيد من بين كل الحضور .

بدأ عدد الركاب يتزايد، والمحصل لا يزال يروى قليل من الحقائق، وكثيراً جداً من الأكاذيب، بينما اكتفى السائق بتعليق واحد . . (يا بختك يا عم) .

قبل أن يتسلل الشابان صاحبا جريمة شق المقاعد، واغتصاب الإسفنج، سمعتها يقولان: (الآن نستطيع صنع أحلى كرة).

ياإلهي!! أمن أجل صنع كرة يخربون المقاعد التي يجلس عليها الركاب؟ أى منطق هذا!!! بل أى عبث هذا!!!؟ اللهم أسبغ علينا صبراً.

صعد الكثير من الركاب.. منهم من تسابق في الجلوس، مستخدماً قوته وشبابه، على حساب بعض النساء وكبار السن.. ووقف الباقي، وبدأ الزحام يزداد.. العرق يتصبب من الجميع.. أم تحمل طفلاً رضيعاً، وطفلاً آخر في يديها، لا يتجاوز السادسة.. وقفت المسكينة تنظر يمينا ويساراً لعل أحد الجلوس تأخذ النخوة فيتنازل لها عن مقعده؛ رحمة بطفليها، وبها كامراً.. لكن الجميع تظاهروا بأنهم ينظرون من النافذة، أو يطالعون الصحف..

وقفت المرأة، وكانت شابة في الثلاثينات من عمرها.. كانت جميلة حقاً.. عودها ممشوق.. وأنوثتها طاغية.. لكنها كانت فقيرة على ما يبدو.. فان روادى في العادة من الفقراء.. لم يتركها أبناء جنسها فيما هي فيه: زحام، وأطفال، وفقر.. طقس حار، ورطوبة، وأنفاس مختلطة، وضجيج، ودخان سحائر، من كل صوب، يضاعف التوتر.

لم يتركوها تواجه كل ذلك فقط.. بل إن هناك كثيراً من السفهاء، معدومي الضمير، والنخوة، يمارسون وسط هذا الزحام نوعاً قذراً من المضايقات للنساء، وما إن تقع أعينهم على امرأة جميلة، مثل هذه التي تحمل طفلها الرضيع، وأخاه، وسط هذا الجو المسموم، حتى تبدأ مضايقتهم لها دون رحمة أو ذوق..

أخذت المرأة تتحرك يمينا ويساراً في محيط لا يزيد عن النصف متر، فقد كان زحام الركاب كبيراً ولايكاد الفرد منهم يجد موقفاً لقدميه.. أظهرت المرأة ضيقها من ذلك الشاب، الذى اخترق الصفوف الزحام، وأثر أن يقف بالقرب منها.. ياله من نذل جبان!! فأننا لا أستطيع أن أصف لكم ما يصنع.. أنا في غاية الحجل.. اعزروني؛ فالكلمات تختنق في حلقى..

من أجل ذلك بدأت في الاحتجاج، عندما تقطعت بى الأنفاس، فتوقفت عن السير.. لقد زاد مؤشر الحرارة ارتفاعاً، ووصل الى العلامة الحمراء، وهو ما يعنى أن

السير بى يمثل خطورة علىّ، وعلى الركاب أيضاً . وهنا صاح السائق فى الركاب :
انزلوا يا حضرات . . الأتوبيس عطل . . حدث هرج، ومرج، وأصوات، واستنكار
وكلمات غاضبة، واحتجاج بكل الوسائل . . فسارع المحصل، يستطلع الأمر من
السائق، الذى أطلعه على مؤشر الحرارة . . أقنع المحصل السائق بأن ينتظر قليلا
ويفتح غطائي لبعض الوقت، حتى تنخفض حرارتي، وأنطلق من جديد . وظل
يتوسل إليه قائلا: الناس غلابة . تأثرت بالموقف؛ فقررت أن أحامل على نفسى؛ من
أجل هؤلاء البؤساء . . ركابى .

بعد قليل أدار السائق محركى وانطلق . . لكن الشاب إياه لا يزال يرتكب حماقاته؛
حتى خرجت المرأة الجميلة عن هدوئها، وصرخت قائلة: (خلى عندك شوية دم . .
انت مالكلش اخوات) . . قالتها المرأة، ثم بكت .

إن الجمال الطاهر حتى ولو كان فقيرا، لا يقبل أن يدنس .
تساقطت دموع المرأة على وجنتيها الجميلتين؛ فبللت خديها، اللذين كستهما حمرة
الحزن؛ فبدت وكأنها لوحة رائعة لفنان مبدع .

آه لو كان العبقري (فانجوخ) قد عاش حتى عصرنا هذا، وشاهدها . . لرسم
لوحة خالدة وأسماها (ظلم الإنسان لأخيه الإنسان) .

تظاهر الشاب بهدوء الأعصاب . . . وعندما بدت علامات الاستنكار، وتعليقات
الركاب، مستنكرين سلوكه . . رد فى تبجح قائلاً (كل واحد يلزم حدوده، واللى مش
عاجبه ينزل ياخذ تاكسى) .

جاء المحصل من مقدمتى بسرعة، مخترقا الصفوف فى خبرة واضحة، ونسى ليلته
الحمراء التى كان يشرح تفاصيلها لسائقى منذ قليل، وبدت عليه كل علامات
الشهامة، والإقدام، ووجه كلامه للشباب المستهتر قائلا: (إذا مش عجبك انت تقف
محترم اتفضل انزل)؟ . . رد الشاب: (ده مش باص أبوك ده بتاع الحكومة) .

وهكذا: تصاعد الموقف بين الشاب، الذى يبدو عليه أنه مدرب على مثل هذه
المواقف؛ فقد كان يرد على الجميع ويردهم عن مهاجمته .

إن أكثر ما أدهشنى أن بعض الذين أخذوا ينهرون الشباب على فعلته، ظلوا
جالسين على مقاعدهم، دون أن يتنازل أحدهم عنه لهذه السيدة الباكية .

عدت في هذا اليوم حزينا مهموما، أتساءل في نفسي؛ فقد خشيت أن أشرح لأشقائي ما حدث، فيزيدون عليه أحداثاً أكثر إيلافاً، وأنا لا أحتمل سماع المزيد. تساءلت: هل فكر هذا الشاب المستهتر في إخوته البنات؟ فهناك أمه، أو ابنة عمه، أو غيرها، ممن تربطه بهم رابطة دم. قد تضطر زوجته يوماً ما لركوب (باص)، وقد ينجب بناتاً.

إنني أسمع من البشر كلمات يقولونها، فيها الحكمة كلها، لكنهم على ما يبدو لا يعملون بها. . . سمعت مرة أحدهم يقول: (كله سلف ودين).

ثم عدت أتذكر هذين الشابين اللذين مزقا مقعدين. . . هل فكرا فيما يمثله عملهما من كل معاني الانحراف. . . من أجل عمل كرة. . . مزقا جزءاً من كياني. . . تركاه غير صالح لاستعمال غيرهم.

ثم هذا الذي أخرج قلمه، وكتب على جزء من جسمي كلمة «الذكرى الخالدة: «حسب الله الهبروى» . . . أى ذكرى يا هذا؟ . . . لماذا هذا التشويه الذى لا طائل منه!!؟ .

هذا يوم جديد. . . ومعاناة جديدة. . . كما ذكرت من قبل، فإن تاريخ ميلادى هو يوم لا أنساه، قبل ثلاثة أعوام. . . ثلاثة أعوام فقط. . . رغم أن من ينظر لى، ربما قدر لى عمراً يزيد عن الثلاثة عشر عاماً. . . سمعت أن زملاءنا فى بلدان أخرى تظل تعمل سنين طويلة دون أن تصيبها الشيخوخة.

اليوم حضر سائقى، مع بداية ظهور خيوط الشمس آتية من الأفق البعيد. . . إننى أحس بخمول عجيب، رغم أن هذا المنظر الجميل كان ينعشنى، ويشد من أزرى. . . لكننى اليوم أشعر بالآلام مبرحة: مفاصلى تن. . . يسمونها (مساعددين) أحشائى كلها تتألم. . . محركى غير قادر على حمل جسدى. . . أنا اليوم أعانى من مرض عضال. . . بطاريتى لا تقوى على منح الطاقة. . . جاء السائق يجاول، ويجاول، لكننى كنت فى حالة غير عادية. . . لم أتحرك من مكانى، على الرغم من محاولات دفعى للأمام بواسطة مجموعة من العمال، والسائقين.

ظل السائق يسب ويلعن اليوم الذى شاهدنى فيه. . . وصفنى بأوصاف مريية. . . مثل (النحس) بل تناول على والدى، وقال: «أصل ده أتوبيس ابن (. . .)». ظل

على حالته العصبية هذه، لكنى صممت على أن أذهب للطبيب.. لم أستطع حتى الذهاب إليه؛ فأتوا به إلى.

الطبيب يسمى (ميكانيكى) أحضر حقيبة الكشف، وبدأ يمر على محتوياتى ذهب وجاء بآخر من تخصص مختلف.. طبيب آخر، تبدو عليه علامات الخبرة سمعتهم ينادونه باسم (كهربائى) ظلاً أكثر من ساعة، يتفحصان أجزائى، الواحد تلو الآخر، وأوصلا بينى وبين شقيقى، حتى يدور محركى.

وأتمّ الفحص.. ياللهول.. اكتشف الطبيب - ميكانيكى وكهربائى - قصوراً كبيراً فى الدورة الدموية.. بالإضافة لضعف عام، قال: إنه مزمن، وعندما فحصا محركى، وجدوه يكاد يخلو من الدماء، أقصد الزيت وكذلك وجد (الريدايتير) يعانى من مرض، يسميه البشر (جفاف)، وكذلك البطارية، التى فقدت جزءاً هاماً من حيويتها نتيجة عدم تزويدها بالمياه.. بعض الأجزاء سمعتهم يقولون: إن فيروساً خطيراً قد أصابها، ولا يصلح علاجها إلا بالاستئصال؛ إنه فيروس (الباروما).

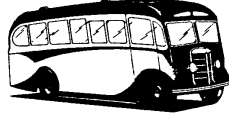
يا إلهى.. كل هذه الأمراض أعانى منها.. كيف كنت أسير إذن؟! كيف تحملت كل هذا؟! إن عمري ثلاث سنوات فقط كيف استطاعت هذه الأمراض كلها أن تتسلل إلى جسدى، ومعظمها أمراض شيخوخة؟!.

بينما أنا مزدحم بهذه التساؤلات، سمعت إجابة واحدة على كل تساؤلاتى.. هذه الإجابة اتفق عليها كل من الطبيين.. (الميكانيكى) و (الكهربائى) : إنه سوء الصيانة.

قالوا ذلك بشجاعة لجلادى، المسمى سائق.. الذى أخذ ينكر ويدعى إننى تجاوزت عمري الافتراضى.. أى افتراض يا رجل؟! هل يحال إلى المعاش (باص) عمره ٣ سنوات فقط؟! إنه الإهمال والتواكل وسوء الاستخدام.

الآن تتابنى مشاعر متباينة.. فبينما أنا سعيد بأنى سأبتعد عن هذا السائق، المنعدم الضمير، فربما جاءوا لى بسائق آخر أكثر رحمة وكفاءة من هذا الذى أضاع شبابى، قبل الأوان.. ربما سلمونى لغيره، بعد عمل الجراحة التى يسمونها (عمرة).. أو ربما يصلح هذا القاسى من أسلوب تعامله معى، بعد أن رأى نتائج إهماله.. ربما يرتدع من الجزء الذى سيقع عليه حتياً؛ بسبب سوء تعامله معى.

وفى نفس الوقت وجدتني حزينا؛ لأن دورى سيتوقف، وفى توقفه مزيد من المعاناة
لهؤلاء الواقفين، أو المنزرعين أمام المحطات، ينتظروننى فى لهفة، ورجاء.
لاشك أن توقفى عن عمل، سيزيد ساعات وقوفهم؛ وهو أمر يحزّ فى نفسى؛
فنحن - الجهاد - نشعر بالإشفاق على الإنسان، ونتألم من أجله على الرغم من مواقفه
السلبية تجاهنا. . وتجاهله لمشاعرنا ومطالبنا الحيوية. . لكننا - ودائما - نتفهم الأسباب
التي جعلت بنى البشر أكثر تفضيلاً عنا نحن الجهاد.



يوميات مطار



لست أبالغ عندما أقول: إننى واحد من أكثر أدوات العصر الحديث أهمية ومكانة . . . فمن بين جنسى - بنى الجهاد - من تكمن أهميتهم: فى تيسير انتقال البشر من بلد إلى آخر، ومن قارة إلى أخرى، فيعم الخير على هذا البلد وذاك، ويتبادل البشر فيما بينهم المعرفة، وتتقارب الحضارات، وتمتدح . . . إلى آخر السبع فوائد التى يحققها السفر.

ولأن الطائرات هى أسرع وسائل السفر على الإطلاق - حتى الآن - وهى التى استحوذت على اهتمام بنى البشر من: مخترعين، وفنيين؛ لتطويرها، وزيادة سرعتها التى فاقت الآن سرعة الصوت، وأصبحت تعبر القارات فى ساعات معدودات . .

كما تفتنوا فى إضافة كل وسائل الرفاهية، والراحة داخلها، بل تنافست شركات صنع الطائرات فى إضافة وسائل حديثة جداً، بحيث يستطيع الراكب - وهو جالس - أن يمد يده لظهر المقعد الذى أمامه ليتناول جهاز تليفون؛ يتحدث من خلاله إلى من يجب فى أى مكان فى العالم، بل يمكنه أن يراه أيضاً على الشاشة الصغيرة الملحقة بالتليفون، بل يمكنه كذلك أن يرسل رسالة بجهاز (الفاكس) وهو فى الطائرة إلى أى مكان فى العالم.

مقاعد وثيرة يستطيع الراكب أن يحولها إلى سرير مريح بلمسة من زر بجانبه، وعندما يبدأ النوم فى مداعبة جفونه، فإن مضيئة حسناء تأتى على الفور؛ لتضع فوقه الغطاء حتى لا يبرد.

أفلام فيديو مثيرة تعرض طوال الرحلة . . . ساعات مثبتة فى المقعد، يضعها الراكب فى أذنيه، ويدير قرصاً مثبتاً أيضاً فى المقعد؛ ليختار المادة التى يود أن يستمع إليها.

ياله من تدليل مبالغ فيه ينعم به هذا الإنسان . . . كل شىء بين يديه . . . كل شىء فى هذا الكون يسعى إلى الإنسان، ليحقق له الرفاهية والراحة. لعلكم اعتقدتم من السطور الماضية: أننى (طائرة) لا . . . أنا أكبر من ذلك بكثير. . . بدونى لافائدة من وجود كل هذه الأساطيل من الطائرات.

هل عرفتم الآن من أنا؟ أنا (مطار) مطار عملاق، يضم من المرافق والمنشآت ما تكلف الملايين. . . وقد إستغرق انشائي سنوات وسنوات. . . رغم أن العديد من تجهيزاتي هي: أرقى ما ابتكرته عقول البشر من أجهزة علمية متقدمة، وأعداد كبيرة منها تسمى (عقول الكترونية): وهي أجهزة معقدة للغاية ودقيقة للغاية أيضاً.

على الرغم من ذلك فأنا أعاني من هذه المخلوقات المساة (بشر). . . لأعرف الأسباب الحقيقية لهواية العبث عندهم. . . ولأعرف لماذا عداؤهم المستحكم مع النظام؟. كذلك لأعرف ما هو الثأر الذى بينهم وبين النظافة؟ مشهد متكرر دائماً. أحزن كثيراً لرؤيته.

ففى زاوية منى توجد مجموعة من (الموازين) الكبيرة التى تزن أمتعة الركاب التى ستحملها الطائرات، وفى هذا المكان تكثر المساومات، وتتصاعد المناقشات، والجدل بين موظفى شركات الطيران، وبين كثير من الركاب الذين يحملون وزناً زائداً، وبكميات كبيرة، وفى نفس الوقت يرفضون تسديد القيمة.

والغريب حقاً أن هؤلاء الركاب الذين يحملون الوزن الزائد والذى يصل فى بعض الأحيان إلى أكثر من مائة كيلو جرام لا يهتمون بانتقاء ما يحملونه. . . فتراهم يحملون أشياء تافهة لافائدة لها، وفى معظم الأحيان يحملون الأطعمة المختلفة، وكأنهم مسافرون إلى بلدان تعاني من الفاقة، والمجاعة.

أما التوسلات التى يقدمها المسافر للموظف المسئول فهى تفوق كل تصور. . . وبعد أن يترك ذلك الموظف عدة كيلو جرامات منحة مجانية للراكب، لكنه يصير على تحصيل الباقي، فإن الراكب يظل يطلق عبارات الاستنكار، والسباب لهذا الموظف الذى يؤدى واجبه. . . ماذا يضر هؤلاء لو أنهم وفروا على أنفسهم ذل التوسل؟ واحترق الاعصاب؟ وضياح أموالهم؟ كل ذلك بإمكانهم أن يوفره لو أنهم دققوا فى اختيار ما يحملونه بحيث يكون فى حدود الوزن، أو أن يزيد قليلاً.

وفى زاوية أخرى. . . وهو المكان الذى سبق دخول الراكب الى حيث يبدأ اجراءات سفره. . . نجد الازدحام قد ملأ المكان. . . عشرات المودعين يلتفون حول المسافر وكأنه ذاهب إلى رحلته الأخيرة!. عشرات القبل تنهال على وجنتى المسافر. . . إن البعض من هؤلاء المودعين لا ينسى، أن يوصى المسافر باحضار أشياء لو أحضرها لهم للملا طائرة دون أن تسع ما يطلبون، وفى هذا المكان تتساقط الدموع على الوجنتات وفى

المآقى . . . ، وكثيراً ما أسمع الأئين، والبكاء، وهى مشاعر انسانية ليس يوسعى أن أنقدها أو أقرب منها .

وما أن ينتهى الركاب من إجراءات الجوزات والتفتيش، ويستقلون «الباص» الذى يحملهم إلى موقع الطائرة التى ستقلهم إلى وجهتهم . . هنا أشاهد عجباً . . زحاماً، وتزاحماً فوق درجات سلم الطائرة . . الكثير من الركاب يريد أن يصعد أولاً، وكأنه يصعد إلى «باص»؟ فى أحد قطارات العالم الثالث . . . إننى أشعر بالدهشة والعجب . . . إن لكل راكب مقعداً محدداً يحمل كل منهم (كارت) صعود الطائرة المثبت عليه رقم المقعد المخصص له .

فلماذا إذن هذا الزحام، والتزاحم الذى يعكس صورة غير حضارية . ؟

وإذا كانت هذه هى سلبيات صالة السفر فإن صالة الوصول تشهد الكثير من المفارقات المثيرة . . . فمنذ لحظة هبوط الطائرة على الممر المخصص، وقبل أن تستقر على الأرض . أرى الركاب قد وقفوا، وبدأوا من جديد يتسابقون نحو باب الطائرة رغم توسلات المضيفات لهم بالجلوس؛ حتى تقف الطائرة تماماً، وتفتح الأبواب، ولكن لاهية لمن تنادى . . وما أن يفتح الباب حتى يتدافعون نحو «الباص»، وقد حملوا فى أيديهم الثقيل من الحقائب والأكياس وغيرها . . ومرة أخرى يبدأ التدافع والزحام بمجرد وقوف «الباص»؛ حتى يظفر كل منهم بموقع متقدم فى طابور الجوازات.

وما أن ينتهى الركاب من ختم جواز، حتى يهرع إلى السير الذى يمر عليه الحقائب .

يالها من فوضى كاملة تسود هذا المكان: البعض: يقفز فوق حقائب الآخرين . والبعض الآخر: يزيع أمتعة الآخرين . . المهم أن يصل الواحد منهم إلى حقائبه وبأى طريقة . . إنهم لا يهتمون لأية توجيهات من الموظفين المتخصصين بحمل الحقائب وترتيبها فى صفوف ليأتى كل راكب فيحمل حقائبه، ويضعها على العربة، ويذهب بها للجمارك . . إنه أحد صور عداء الإنسان للنظام .

الآن وصل الركاب إلى صالة الجمارك . ، وما أدراك ما الجمارك! . خمسة عشر موظفاً عليهم أن يفتشوا عشرات الطائرات ومئات الركاب الذين يحملون آلاف الحقائب . . . إن وظيفة الركاب المدونة فى جواز السفر، ومكانته الاجتماعية، ومظهره تكفى لتقرير

مصيره، أما هؤلاء الذين يقضون سنوات، وسنوات يعملون في الخارج فإن حظهم العاثر ربما يسوقهم إلى كشاف، أو مأمور جمر ك يعث في شنتهم، ويبعث محتوياتها ويسجل في سجل خاص محتوياتها، وعلى الراكب المسكين أن يدفع . . . وفي هذا المكان: حل من اثنين: إما الدفع، أو المصادرة!!

وكثيراً ما أشاهد هذه الصورة مقلوبة . . . حيث يكون رجل الجمارك مهذباً رحيماً، لكن الراكب لاضمير له . . . فعندما يسأله قائلاً: (فيه مع سيادتك أجهزة؟) فيرد الراكب قائلاً: (لا والله يابيه دول شوية ملابس وهدايا للأولاد).

لكن خبرة رجل الجمارك تجعله يختار إحدى الحفائب، ويطلب من الراكب فتحها، وتكون المفاجأة أن يدخلها فيديو، وربما بعض الأجهزة الأخرى، ويقع الراكب في حيص بيص، وهنا تضاعف عليه القيمة؛ فيظل يتوسل في ذل . . . لكن رجل الجمارك هنا يتمسك بموقفه رداً على محاولة الراكب خداعه.

أما خارج أسوارى - وفي الساحة الكبرى أمام صالة الوصول - فهناك سائقو التاكسيات . . . ومعظمهم من فئة لائعى الله في رزقها؛ فمنذ اللحظة الأولى لظهور الركاب تبدأ المساومة التي أسمعها، وأتألم لها؛ فعادة ما يقسم السائق أنه ينتظر أمامي منذ عدة أيام، وأن هذا الزبون هو أول زبون . . . ويظل يغالى في طلب الأجرة . . . بل، والأكثر من ذلك أن سائق التاكسي يظل طوال الطريق يشكو الحال، والأحوال وارتفاع الأسعار، ولا ينجل من أن يقول للراكب: (ولع بقى يابيه . . . ورينا سجاير بلاد بره).

وهكذا فأنا أرى الكثير والكثير . . . في عالم فقد كل القيم والمثاليات . . . عالم انتشر فيه الغش والكذب والابتزاز . . . كثر فيه بنو البشر:



یومیات میکر فون

انتخبوني
قبيلا وعربية لكل موالحن



منذ أن نقلت من المصنع الذى شهد مولدى، وتجميع أجزائى ، إلى تلك المراحل التى تم خلالها نقل من بلد المنشأ إلى بلد الاستخدام، حيث الوكيل المحترم، الذى يقوم باستيراد أنواع مختلفة من أبناء جنسى، من الأجهزة المتطورة ..

منذ ذلك الوقت الذى اشتراينى أحد متعهدى إقامة « السراقات » بجميع أنواعها . وأنا أشعر بالأسى ، والحزن لما ألاقه، وما ينقل من خلالى ، وما أشاهده وأحس به من عبث بنى البشر بكل ما يمثله ذلك من جنوح ..

أنا « ميكروفون » جهاز صغير، الحجم عظيم الفائدة .. لن أتحدث عن ظروف، وطبيعة صناعتى .. لأنها بحق، عمل عبقرى شديد الدقة ، وكثير التفاصيل .. لكنى سأستعرض فى عجالة جانباً من رحلة العذاب التى أعيشها كل يوم تقريباً .. سأسجل هنا ثلاثة أيام فقط .. ثلاثة أيام كان استخدامى خلالها يحمل كل أشكال ، ومعانى التناقض ..

ولنبداً باليوم الأول :

فى المساء جاء رجل يطلب من صاحبى (متعهد الاحتفالات) أن يجهزنى لليوم التالى مع مجموعة أجهزة الصوت الأخرى، التى يوصلون ببنى ، وبينها لتكتمل الدائرة .. ، أو ليكتمل الدور .. وبالفعل أخذونا جميعاً ، وذهبوا بنا إلى سرادق ضخم لمرشح ثرى، سوف يخطف فى جماهير الناخبين من أنصاره ، وأبناء دائرته والذين سيدفعون أصواتهم ثمناً للوصول المرشح الوجيه إلى عضوية (البرلمان) .. وما أدارك ما البرلمان !!

فى المساء بدأ أبناء الدائرة يتوافدون فى مجموعات ، ويجلسون على المقاعد فى صفوف ، وما هى إلا ساعة حتى سمعت أصوات ضجيج ، تأتى من بعيد ، ورويداً رويداً بدأت تقترب من السرادق ، وتعلت الهتافات بحياة المرشح الهام الذى أحاطوه باللقاب تنافس المهيب الركن إياه .. وفى زفة كبيرة دخل المرشح إلى السرادق ، وسط التهليل من جوقته ، أو كما يسميهم أولاد البلد من البشر : (كدايين الزفة) .. بعد قليل قام أحد الهتيفة، وأمسكنى بعنف، وأخذ يصيح : الآن .. يتحدث

إليكم .. مرشحكم المهّام .. الذى يُحبكم لدرجة الهيام .. ومن أجلكم لا ينام .. ، والذى سيحقق لكم الأحلام .. سواء بالحرب ، أو بالسّلام .. إليكم يتحدث أحلى كلام .

وقف المرشح ، وتناولنى وسط التهليل ، وبدأ يتحدث عن برنامجه الطموح ، الذى من أجل تحقيقه سوف يتحمل كل المشاق .. مشاكل الإسكان فى الدائرة سوف تختفى .. شقة لكل شاب .. ستنتهى مشاكل التّموين ، والمواصلات ، والصرف الصحى ، وغيرها .. كل شىء سيتغير .. مرت خمسون دقيقة .. ولا يزال الرجل يقضى على المشاكل ، الواحدة ، تلو الأخرى ، بكلمات معسولة ، لا تخلوا من السّجع ، والحفاصة .. أما جماعات الهتيفة من أنصاره ، فهى لا تزال تهتف ، دون أن تشعر بأى ملل ، أو تعب ، أو حياء .

لم أستطع احتساء هذه الوصلة الرديئة من الكذب ، والنفاق ، والانتهازية .. فأصدرت صغيراً متقطعاً ، ساهم فى أن ينهى هذا المرشح المناق خطبته العصماء .. ، وهنا ظننت أن عذابى سوف ينتهى .. لكن هذه الحالة استمرت حيث تبادلنى مجموعة من أنصاره من المنافقين (وكدايين الزفة) أخذ كل منهم يتسابق فى إلصاق مزيد من الفضائل ، والخصال التى هى بريئة من هذا المرشح براءة الذئب من دم ابن يعقوب ..

وبعد ساعتين كاملتين ، أحسستُ خلالهما بالإرهاق ، والأسى .. بدأت مسرحية سخيفة .. حيث بدأ بعض الحضور ، ووفقاً لترتيب مسبق فى توجيه أسئلة للمرشح ، الذى سبق له أن لقنهم تلك الأسئلة ، وبالطبع فقد استعد للإجابة عنها بشكل يلهب حماس أبناء الدائرة ويخدر أعصابهم ..

ما أقسى هؤلاء البشر؛ إنهم يتاجرون بمشاعر بنى جنسهم ، ويستغلون آلامهم ، ويستفيدون من معاناتهم .. ، وبعد أن مرت ساعات أربع ، كنت خلالها وسيلة لنقل أكاذيب ، ونفاق .. ، وكثير من سلبيات نوع ردىء من البشر .. انفض هذا السيرك البشرى المسمى (مؤتمر انتخابى) وهجّلتُ ، ومن معى من الأجهزة لنعود إلى المخزن ، . وقد لفنى حتى شديد ، وألم أشد .

وفى الصباح كانت البشرى ..

واليوم وفى المساء ، سوف أكون قاسماً مشتركاً فى حفل عرس كبير سيقام أعلى بناية

فى أحد الأحياء . . وبالفعل جاء من يحملنى إلى موقع الحفل ، وقد دهشت للغاية عندما شاهدت هذا المكان . . آلاف من مصابيح الإضاءة القوية ، وقد ربط بينها بأحبال عُلِّقَتْ فى واجهة البناية ، وفى العديد من الحوائط ، فتحول المكان إلى ساحة من الضوء . .

وهنا تساءلت : ما هذا العيب ؟ لقد أذيع عبر أشقاء كثيرين لى يعملون لدى وسائل الإعلام المختلفة . . إذاعة . . تلفيزيون . . الخ . . أخبار وتحليلات وآراء لفنيين وخبراء يؤكدون :

إن الطاقة الكهربائية تعاني من الإسراف الكبير ، ويهدد تناقصها ، وارتفاع تكلفة توليدها من إرهاب كبير ، قد يسبب استمرار استنزافها إلى حلول كارثة فى السنوات القادمة . . لماذا إذن يضر هؤلاء البشر على هذا الإسراف المقيت فى تبديد الطاقة الكهربائية ، التى هى واحدة من أهم مقومات الحياة فى العصر الحديث ؟ ناهيك عن الإسراف المادى فى تسديد فواتير الكهرباء ، نتيجة الاستهلاك العشوائى ولا أعرف لماذا لم يستجيب هؤلاء البشر لحملة التوعية المستمرة لترشيد الاستهلاك فى العديد من المجالات التى يتسبب إسرافهم فى استهلاكها فى كوارث للأجيال القادمة ؟ ، وربما لحقهم هم أيضا نصيب كبير من المعاناة . . الآن دعنا من هذه التساؤلات المربكة ، ولأسجل سطورا من هذا العرس الكبير بعد توصيل الأسلاك المثبتة برأسى بأجهزة أخرى ، وظيفتها : تكملة تجهيزى ، مثل الساعات ، وجهاز تضخيم الصوت (الامبليفاير) وغيرها . .

ظل الفننى يجرب الصوت أكثر من نصف ساعة : (آلو . . آلو . . وأحد اثنين ثلاثة)

وبعدها بساعات بدأ المدعوون فى الحضور ، ثم تبعتهم مجموعة أخرى سمعتهم يطلقون عليهم : (الفرقة) علمتُ فيما بعد : أن هؤلاء هم الفنانون الذين سيحيون الحفل ، ويجلبون البسمة ، ويرسمون الفرحة على الوجوه ، والأفئدة . . هكذا كنت أعتقد . . لكن الذى حدث شىء مختلف تماماً . . فما أن بدأ هؤلاء فى تقديم عرضهم ، حتى أصبت بما يسميه البشر (اكتئاب) ما هذا الذى يفعله هؤلاء الذين يطلقون عليهم . . فرقة . . أى فرقة هذه؟!!

إنهم مجموعة من العازفين . . آسف (العابثين) يطلقون من آلتهم ، وإيقاعاتهم

نغمات بالية، ومن حين لآخر يوقفون العزف فجأة عندما يلوح لهم أحد من (المعازيم) حاملاً ورقة نقدية لتحية العروسين ، والكثير من المدعوين؛ فيصعد فوق خشبة المسرح قائلاً : (الفرحة .. العريس ، وأهل العريس وأنا وأنت .. سلام مربع) وفي كل كلمة يردد، يرد أحد أفراد هذه الجوقة ويسمى : (المطيباتي) يردد نفس كلماته (الفرحة .. العريس ، وأهل العريس ، وأنا وأنت .. سلام مربع) .

وأنا ليس لي أى اعتراض على هذا العبث .. بل ليس لي اعتراض أيضاً على الأصوات المبحوحة ، والرديئة ، ولا على النغمات النشاز ، ولست أتحدث عن الكلمات الهابطة جداً التى يتغنى بها مطرب هذه الفرقة ، أو الجوقة .. فأنا لا أتدخل فى أذواق هؤلاء البشر .. لكننى فقط أتعجب من ولع الكثير من بنى البشر بالصوت العالى . العالى جداً .. ففى مثل هذه الأفراح والليالى الملاح، يحلو لهم أن يرفعوا أصوات مكبرات الصوت التى تلتصق بأسلاكى ، وبالطبع فإن لأفراد الفرقة مبرراتهم القوية، ولا أقول الموضوعية فى ارتفاع الصوت ، حيث يخفى الصوت العالى عيوب وضعف مطربى هذه الأيام ..

ولكن السؤال هو : ما ذنب الجيران ؟ فقد يكون بينهم مريض يحتاج إلى الراحة ، أو طلاب يحتاجون إلى الهدوء، لاستذكار دروسهم ، أو غير ذلك من الأسباب التى يصبح هذا الضجيج الذى يستمر لساعات طويلة عبئاً على الآخرين، ومصدراً لانزعاجهم .

أما الراقصة الفاتنة التى أراها وقد ارتدت ما يسمونه بدلة رقص إذا جمعت مساحتها ما اقترت من مساحة «ورقة التوت» .. إنها تتأيل يمينا ويساراً وتظل تتحرك فى كل اتجاه ، وتحرك كل المواقع ؛ وتتفنن فى إثارة غرائز المدعوين ، وقد مالت ببعضهم الرؤوس؛ من فرط ما احتسوا من مسكرات ... ، وكثيراً ما حدثت مشادات ، ومعارك ، ذهبت بيهجة الأفراح إلى المستشفيات ، وأقسام الشرطة ..

وفى زاوية من المكان ... أشاهد مجموعة أخرى من الشباب يتجمعون ، وقد تصاعدت سحببات الدخان الأزرق .. سيجارة واحدة تدور على عدد من الشباب .. كل منهم يسحب نفساً عميقاً ثم يناولها لجاره ، وقد سبقتها عبارة (مساء الخير) يقولها وهو فى حالة يرثى لها من عدم التوازن ، ووسط كل هذا العبث يظل العروسان منزعجين على مقعدهما، ولسان حالهما يقول .. متى تنتهى هذه المهرلة، التى

تضم كل معاني ومظاهر الإسراف ؟ في المال ، واستهلاك الكهرباء ؟ بل وفي
الضوضاء أيضا ؟

لكن أحداً لا يدري بما يدور في خلد العروسين ، أولدى العقلاء من البشر ، وهم
قلة في مثل هذه المناسبات . .

فلقد قاد حب التظاهر إلى العديد من السلبيات التي تشهدها حفلات العرس ،
على كافة المستويات ، فقراء ، وأغنياء على حد سواء .

ومع الساعات الأولى من اليوم التالي ، نعترب هذه المهرلة من نهايتها فيبدأ هؤلاء
البشر في الانصراف على مجموعات ، وكذلك العريس المسكين الذي يصطحب
عروسه ، وقد أنهكتها أحداث هذا العرس ، ومن قبلها مصروفات هذه الليلة ،
وتكلفة إقامة عش الزوجية ، وهناك مزيد من الجهد ينتظرهما بعد قليل . . وإلى هنا
لا أستطيع أن أكتب المزيد .

اليوم التالي مباشرة كان موعدي مع دور جديد ، ولكن في ظروف مختلفة تماماً . .
هذا اليوم هو موعدي مع سرادق عزاء . . فقد نقلني مجموعة من العمال ، والفنيين إلى
سرادق ضخمة . . كل شيء حولي يوحي بأن المرحوم من ذوي الأهمية ، والسلطان . .
كل ذلك طبعاً قبل أن تصعد روحه إلى بارئها . . أما الآن فهو لا حول له ، ولا قوة . .
اصطفت المقاعد الوثيرة ، والمذهبة ، وبعد صلاة العشاء اصطفت مجموعة من أقارب
الفقيد في مدخل السرادق استعداداً ، لاستقبال المعزين . . لقد ارتدوا جميعاً ملابس
أنيقة للغاية . . انتابتنى دهشة كبيرة عندما شاهدت وفود المعزين ، وقد أخذوا يقلبون
أهل المرحوم . . تساءلت : لماذا يعبر هؤلاء البشر عن عزائهم بهذه القبل الحارة ، التي
هي وسيلة من وسائل التهنتة لديهم أيضا ؟ !

بدأ الوافدون للسرادق في الجلوس على المقاعد ، وبدأت عملية تشغيل فقد
اقترب مني قارئ شهير كانوا يسمونه في الماضي : (صبييت) ، إنه يحصل على آلاف
الجنينيات مقابل تلاوة كلمات الله بالمشاركة مع زميل له . . سمعت بعض الموجودين
يشير اليهما على أنها في مقرئتي الإذاعة . . للحق أقول إن صوت كل منهما جميل
حقاً . . يالها من كلمات حلوة تلك التي يجودانها ، تحمل الحكمة والموعظة الحسنة . .

لكن هؤلاء البشر يجلسون دون أن يستمعوا إليها ، وينصتوا لعلهم يرحمون . .

فبعد أن انطلق صوت المقرئ يرتل آيات القرآن الكريم .. بدأ عدد من الناس يتحدثون في شئون الدنيا ! صفقات تجارية .. الأحداث السياسية .. الغيبة والنميمة ... شئون وشجون، كل ذلك ، ولا يزال القرآن يتلى .

إن ذلك لم يكن السبب الوحيد لحنقى واستيائى .. بل إنى سمعت فى زاوية من الركن الأقصى بنهاية السرداق أصوات نقاش بدأت بالهمس ، وتصاعدت حتى كادت تتحول إلى معركة بالأيدى .. يالهول ما أسمع وأرى .. إن هؤلاء يتحدثون عن تركة (المرحوم) لقد بدأ الصراع بينهم مبكراً .. بل مبكراً جداً .

وهنا توقفت قليلاً؛ لأتأمل ، وتساءلت : لماذا يشقى الإنسان ويكد ويصارع من أجل الحصول على مزيد من المال ، يتركه لورثته ، فإذا كانوا صالحين انفقوه فى الخير؛ فنالوا ثوابه ، وزادت حسناتهم .. وبذلك يكون المتوفى قد شقى من أجل الحصول على مال استفاد به غيره ، وإذا كان الوارث غير صالح؛ فإن ذلك المال يزيده فساداً ، وطمعاً ، ويقوده إلى جهنم ، وبئس القرار ، وبذلك يكون من صارع من أجل المال ، وأكتنزه ، ثم تركه بعد وفاته .. يكون قد أضر به غيره .. أه .. ما أشقى الإنسان بهاله حياً أو ميتاً .. ومن هنا تبرز ميزة الاعتدال ..

نعود إلى السرداق الذى ضم مجموعة من المتناقضات ولا أقول البشر .. فقد كدت أن أتوقف عن العمل عندما شاهدت مشهداً مثير للغاية .. بل هو نموذج للجنوح الإنسانى بكل أشكاله ..

لقد شاهدت شخصاً يحمل كاميرا فيديو وبجواره من يساعده فى توجيه كشاف الإضاءة إلى الوجوه، الواحد تلو الآخر ؛ ليلتقط صورهم ، ثم يعود إلى باب السرداق؛ ليصور أبرز أفراد أسرة الفقيد ، وهم يستقبلون كبار المعزين .. إنهم قوم لا يستحون .. كيف يأتون بمثل هذا العمل المشين وفى مثل هذه المناسبة !!! ألم أقل من قبل أن الرغبة فى التظاهر عند الكثير من البشر تقودهم إلى درك أسفل من الجنوح والتردى .



كتب للمؤلف

- * رحلة السندباد في أعماق الجمار :
الناشر - المركز العربي للإعلام - الكويت
- * الديمقراطية والانتخابات :
الناشر - دار المعارف - كتاب أكتوبر
- * نجوم الصحافة شهود على العصر :
الناشر - أخبار اليوم
- * عندما ينطق الجمار :
الناشر - دار الصفوة للطباعة والنشر - الغردقة
- * دليل مصر السياحي (جزءان) :
الناشر - دار السياسة - الكويت

فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة
إهداء	٥
تقديم بقلم الأستاذ / ثروت أباطة	٨
قبل أن نقرأ	١٠
يوميات دفتر شيكات	١٣
يوميات ميزان	٢٣
يوميات مسرح	٣٣
يوميات قلم	٤١
يوميات مقهى	٥٥
يوميات فيديو	٦٣
يوميات قاعة محكمة	٧٣
يوميات ملعب كرة قدم	٨٣
يوميات باخرة	٩٣
يوميات شارع	١٠١
يوميات دولار	١١٦
يوميات راديو كاسيت	١٢١
يوميات باص	١٢٩
يوميات مطار	١٣٩
يوميات ميكروفون	١٤٥



رقم الإيداع بدار الكتب ٢٠٦٣ / ١٩٩١
رقم الإيداع الدولي I.S.B.N.
977 - 5147 -06 -9
